وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

منهجية التحري في رواية اللغة دراسة في كتاب :
" السماع اللغوي "لعبد الرحمن حاج صالح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص : علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة :

نوال وكواك

إشراف الأستاذة :

زينب مزاري

السنة الجامعية :

1436/1435هـ

2015/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا
تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ
وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾

سورة: طه / الآية: 114 .

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذتي الفاضلة الأستاذة المشرفة « **زينب مزاري** »التي أمدتني بيد العون طوال كتابة هذه المذكرة أسأل الله أن يجزيها خير الجزاء ويجعل عملها في ميزان حسناتها.

و إلى كل الأساتذة بقسم الآداب واللغة العربية.

وأجزي شكري إلى عائلتي الكريمة التي وقفت معي وساندتني في أصعب مواقف حياتي .

مقدمة

شهدت العربية عناية كبيرة من قبل القدامى في دراساتهم التاريخية، فأنتجوا لنا تراثًا لغويًا ثريًا بما كانت تزخر به من كنز، وقد انشغل به الباحثون في العصر الحديث في تناول موضوعاتهم المتنوعة من خلال هذه الإنجازات اللغوية، فاهتمَّوا بدراسة التراث اللغوي من خلال سعيهم إلى إبراز جهود القدامى والوقوف على قدراتهم العظيمة والتي تتمثل في السماع اللغوي الذي اعتمده القدامى لجمع اللغة من أفواه الفصحاء وروايتها والاطلاع على ما توصل إليه الباحثون في دراساتهم حول ذلك وما كان بينهم من توافق أو اختلاف في شرحهم وآرائهم.

سنتناول في هذه الدراسة رؤية العلاَّمة عبد الرحمن حاج صالح باعتباره واحدًا من هؤلاء تَجلية لدوره في هذا الميدان والذي سعى إلى ذلك وتناول الحديث عن علمائنا الأجلاَّء واهتماهم الكبير بالتراث العربي ومدى تعلُّقهم باللغة العربية وما ضمَّنه أيضًا من آراء وتوجيهات وتصحيح بعض المعطيات والمفاهيم كمفهوم الفصاحة التي غفل عنها بعض المحدثين من الباحثين، وذلك من خلال كتابه " السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" .

لقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو مدى إعجابنا بالعالم الجليل "عبد الرحمن حاج صالح" وشعورنا بتميُّزه وشهرته الكبيرة ، كما أولتنا الرغبة في محاولة اكتشاف موروثنا اللغوي العربي القديم الذي سنَه لنا أسلافنا والغوص في مواضيعه والاطلاع على جهودهم العظيمة التي أفنوا أعمارهم من أجلها والسعي إلى خدمتها.

يجدر بنا أن نطرح جملة من التساؤلات التي تتمحور حول هذا الموضوع لتوضيح الصورة فيما يلي:

ما هي رؤية العلامة عبد الرحمن حاج صالح لمنهجية التحري في الرواية اللغوية التي أقامها القدامى؟وما هو موقفه من آراء المحدثين العاملين في حقل العربية؟. وهل هناك تناقض بين ما يدرَّسُ نظريًّا لمفهوم الفصاحة وماهو معمول به عند الجمع ؟.

لقد صُدّرت هذه المذكرة بمقدمة عقبها فصلان فالأول معنون ب(رواية اللغة وروَّاتُها) ويليه الثاني الموسوم ب(ضوابط جمع اللغة)، وذُيّلتْ المذكرة بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، ثم ملحق يسرد نبذة عن حياة العلامة حاج صالح .

اعتمدنا في إنجاز هذه المذكرة على المنهج الوصفي باعتباره المنهج الأنسب في دراسة هذا الموضوع لوصف ظاهرة اللغة وتتبع تطوراتها حسب الزمن الذي مرَّت به، ثم المنهج التاريخي الذي يعضد في هذه الدراسة المنهج الوصفي للوصول إلى معطيات صحيحة.

استندنا على مصادر ومراجع جمَّة فكانت لنا عونًا على إغنائنا بمعلومات كافية ووافية لإثراء هذا الموضوع، فحريٌّ بنا أن نشير إلى مجموعة من الكتب التي تناولت هذه الدراسة فنجد أمامنا كمًّا هائلاً إلاَّ أنَّنا سنذكر منها البعض كالآتي:

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (توفي 911ه) .
- مصادر اللغة في المكتبة العربية لعبد اللطيف الصوفي.
- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي.

أمَّا بالنسبة للصعوبات فلا يخلو أي بحث منها حيث واجهتنا صعوبة في فهم لغة الكاتب فهناك بعض الأقوال يصعب شرحها وفهمها إلاَّ بقراءات متكررة والتمعُّن فيها كما أنَّنا وجدنا صعوبة في نظم المعلومات نظرا لتشعب المادة التي تدرس هذا المجال.

ولا يفوتُنا أنْ نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفَّقنا على إنجاز هذه المذكرة ، كما نوجه الشكرَ إلى الأستاذة المشرفة التي أمدتنا بيد العون بتوجيهاتها السديدة وأفكارها الصائبة فلها منَّا أسمى معاني التقدير والإجلال.

وهذا ما استطعنا تحقيقه في هذه الدراسة، فإنْ وجد تمام وكمال فهو من توفيق الله وإن وجد نقص فهو منَّا، ونسأل الله العفو والغفران.

والله وليُّ التوفيق

الفصل الأول: رواية اللغة وروَّاتُها

المبحث الأول: مفهوم الرواية

المبحث الثاني: تاريخ رواية اللغة

المبحث الثالث:أهم الرُّوَّاة اللغويين

المبحث الأول : مفهوم الرواية

1-الرواية لغة :

تشتمل مادة "روى" في المعاجم اللغوية على معان عدة أهمها:

- قال "**الخليل**(170ه)":« روى: الرُّواءُ: حُسْنُ المنظر في البهاء والجمال... والرّواء: حبل الخبَاء، أعظَمه وأمتَنَه، وذلك لشدَّة ارتوائه في غلظ فتلَه. وكل شجرة أو عضو امتلأ قيل: قد ارتوى، وإنّما قالوا: رَوِيَ إذا أرادوا الرِّيَّ من الماء والأعضاء والعروق من الدَّم، ولا ترتوي العروق لأنَّها لا تَغْلظ، وليس معنى ارتوائها كارتواء القوم إذا حملوا ريَّهم من الماء كل هذا من رَوِيَ يروى رَيَّاً . والرّواية : رواية الشّعر والحديث، ورجل راوية: كثير الرّواية. والجميعُ: رُوَّاةٌ »[1] .

- وفي معجم "**مقاييس اللغة**" :

« رَوِيَ: الراء والواو والياء أصل واحد، ثم يشتق منه، فالأصل ما كان خلافُ العَطش ثم يصرف في الكلام لحامل ما يُروى منه فالأصل رَويتُ من الماء ريًا »[2] .

- وجاء في "**الصحاح**" :

« ورويتُ الحديثَ والشّعر روايةً، فأنا راو، في الماء والشعر والحديث، من قوم رُواة. وتقول: أنشد القصيدةَ ياهذا، ولا تقل أرويها، إلاَّ أن تأمره بروايتها،أى باستظهارها »[3]

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه): كتاب العين ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان ، 1424ه/2003م، ج2، محتوى (د ص)، مادة (روى)، ص165/164.

[2]- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت395ه): معجم مقاييس اللغة، تح: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1422ه/2001م ، باب الراء ، مادة (روى) ، ص407 .

[3]- الجوهري (إسماعيل بن حماد الجوهري، ت 396ه): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطَّار ، دار العلم للملايين ، ط4 ، بيروت ، لبنان ، 1990م ، ج 6، مادة (روى) ، ص2364.

– أما في "**القاموس المحيط**" :

« الرّواية: المزادة فيها الماء، والبعير، والبغل، والحمار يستقى عليه ...
روى الحديث، يروى روايةً وتَروَّاه، بمعنى وهو راويةً، –والحبل– فتَلَهُ، فارتوى و–على أهله – ولهم: أتاهم بالماء » [1].

نستنتج أنَّ مادة (روى) في اللغة لها معان عدَّة وهي :

– وجود الماء وإتيانه .

– المزادة التي فيها الماء .

– الارتواء من الماء أي خلاف العطش .

–ناقل الشّعر والحديثَ واستظهارهما .

[1] - الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت817ه):القاموس المحيط ، تح: محمد الشامي و زكريا جابر أحمد دار الحديث ، القاهرة ، 1429ه/2008م ، مج1 ، مادة (روى) ، ص685.

2- الرواية اصطلاحا :

تعددت مفاهيم الرواية واختلفت معانيها مع مرور الزمن، حيث توجد عدة تعريفات للرواية أبرزها :

أ- الرّواية في الجاهلية :

شهد العربُ في العصر الجاهلي حياةً طبيعيةً بسيطةً، حيثُ عاشُوا على الطريقة البدائيّة التي جعلتْ فكرَهم محدودٌ ، إذْ« كان العرب أمة أمية؛ لا يقرؤون إلاَّ ما تخطه الطبيعة، ولا يكتبون إلاَّ ما يلقنون من معانيها، فيأخذون عنها بالحسّ ويكتبون باللسان في لوح الحافظة ؛ فكان كل عربي على مقدار وعيه وحفظه : كتاباً ، أو جزءًا من كتاب؛ وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار و الأثار » [1] .

عُرف بشرُ الجاهليَّة بالذَّكاء والفطْنَة و سرعة الحفظ رغم الأميَّة التي كانت سائدة في ذلك الزمان، حيثُ اعتمدوا في تسجيل أحاديثهم وأشعارهم على الحفظ لا الكتابة وكان كل عربي له القدرة الكبيرة في الحفظ ليرويها بعد ذلك عن الآخر .

لم يكن للعرب قبل طلوع فجر الإسلام ثقافات بسبب الأمية التي غلبت عليهم؛ إذ كانوا يهتمون إلاَّ برواية الشعر، فقد « كان كل عربي بطبيعته راوياً فيما هو بسبيله من أمره وأمر قومه؛ فلمَّا أن اهتدوا إلى الشعر وتوسعوا فيه جعلوا يرتبطون به أرقى تلك المعاني النفسية »[2] .

لقد اهتمَّ العرب « برواية الشعر وحفظه ورواية أخبار العرب وأيَّامهم، في (عكاظ) أو في المجالس والندوات » [3] .

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1421ه/2000م ج1 ، ص 213.

[2]- مصطفى صادق الرافعي: المرجع نفسه ، ص 214.

[3]- محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ط1 بيروت ، لبنان ، 1400ه/1980م ، ص65.

من الواضح أنَّ الروايةَ عند الجاهليين هي نقل أخبارهم وأشعارهم جيلاً وراء جيل ولذلك كان الشعراء آنذاك يتخذون لهم رواة .

ب- الرواية بعد الإسلام :

لقد توسَّع مفهوم الرواية بفضل الإسلام و صار متضمناً في الشريعة والفقه فعندما تُطلق كلمة رواية فإنَّ الذهن ينصرف مباشرة إلى الحديث النبوي الشريف إذ تعدُّ علم قائم ضمن علوم الحديث؛« فلمَّا قبض "صلى الله عليه وسلم" بدأ من بعده علمُ الرواية؛ إذ لم يعد من سبيل إلى الاستدلال و الفصل إلا بها حتى يكون الرأي عن بيِّنة، وحتى تكون المعرفة بالحق عياناً؛ فوضع أبو بكر"رضي الله عنه" أول شرط لهذا العلم، وهو شرط الإسناد الصحيح ؛ إذ احتاط في قبول الأخبار فكان لا يُقبل من أحد إلا بشهادة على سماعه من الرسول "صلى الله عليه وسلم" »[1].

نلحظ من خلال هذا القول بأنَّ الروايةَ في الإسلام تطوَّر معناها حيث أصبحت علمًا يتداوله الصحابةُ والعلماءُ في نقل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بعد وفاة النبي "عليه الصلاة والسلام" عن طريق رُوَّاة ثقاة ، وكان شرط ذلك صحة الإسناد متواترة من الصحابة و التَّابعين وصولاً إلى النبي "صلَّى الله عليه وسلم".

وبالتالي نقول إنَّ الرّواية هي « سماع عن الرَّاوي ورواية عنه فيما بعد »[2].

لقد أقام المسلمون علومًا دقيقة تخصُّ نقل كلام النبي "صلى الله عليه وسلم" ويشمل ذلك قسمي الحديث طريقه(سنده) ونصه(متنه) وقد عملوا على وضع قواعد صارمة تضمن وصول الحديث محاطا بكل ما يسمح للعلماء الحكم عليه أهو صحيح أم غير ذلك. ولذلك اجتهدوا في ضبط النقل وطرقه ففي علم الحديث لا تتساوى الكلمات ولا تؤدي نفس المعنى فإذا قال العلماء حدثنا فهي لا تساوي أخبرنا ، فالرواية أنواع مثل:

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص215.

[2]- عبد الإله نبهان: ابن يعيش النحوي (553-643ه) دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط1 ، دمشق 1997م ، ص 306.

حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، وسمعتُ، وقرأتُ، والمشافهة والمناولة، والإجازة والوجادة ونحو ذلك .[1]

توسَّع مفهوم الرواية وتطوَّر من الجاهلية إلى الإسلام إلى معنى الرواية اللغوية عند علماء اللغة والتي تتمثل في عملية جمع المادة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء بالذهاب إليهم في بواديهم أو بلقيهم في الحواضر، ثم نقل ذلك للدَّارسين من الطلاب[2].

لقد قام العلماء اللغويون والرُّوَّاة برحلة إلى بوادي شبه الجزيرة العربية أين يوجدُّ فصحاء العرب لجمع المادة اللغوية (شعرًا ونثرًا) ثم نقلها للدَّارسين .

ومن ثمة أصبح مفهوم الرواية من المصطلحات المتشعبة في كثير من « الدراسات التشريعية والعقائدية وفي الدراسات النحوية وأصولها وغير ذلك من العلوم المشكلة لتراثنا العربي، يراد به: نقل طريقة الأداء اللغوي بمختلف مستوياته النطقية،الصوتية أو الدلالية(معجمًا واصطلاحًا)، ويتم ذلك بواسطة رواة ثقاة وفصحاء أو ممن يتقن الفصحى في أقل تقدير »[3].

لقد شملت الرّواية عدَّة ميادين بدءًا بالميدان الأدبي فالميدان الديني والنحوي وأصوله، حيث تتفق معاني الرواية في جميع المجالات على معنى واحد وهو نقل خبر من شخص إلى آخر. إذن ما يهمنا في دراستنا هو المفهوم الاصطلاحي الذي وَرَدَ بمعنى جمع اللغة الفصيحة من مواطنها وبيئتها ؛ بوادي العرب ونقلها وتدوينها لتصبح المعين الذي يستقي منه اللُّغوي والنحوي والمفسر وكل من يتعامل مع العلوم الشرعية واللغوية .

---

[1]– ابن تيمية: علم الحديث ، تح: موسى محمد علي، دار الفكر، ط3، دمشق، سوريا، 1993، ص 87.

[2]– محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص65.

[3]– مشتاق عباس مُعن: المعجم المفصل في فقه اللغة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت، لبنان ، 1422ه/2001م ، ص95.

المبحث الثاني : تاريخ رواية اللغة

أولا: دوافع الرواية :

1- الحاجة إلى فهم ألفاظ القرآن والحديث النبوي الشريف :

لمَّا أشرق نور الإسلام، وانتشر القرآن الكريم على ألسنة المسلمين، أقبلوا إلى تعلُمه فكان الرَّسول" عليه الصلاة والسلام" المعلم الأول الذي يُرشدهم إلى دينهم ويعلمهم القرآن فيشربون معانيه منْ فيه . فلمَّا قُبضتْ روحُه وضَمَّه الثرى ترك فراغًا كبيرًا عليهم أحسَّ الصحابةُ الحاجة الشديدةَ لمن يُبيَّن ويشرح لهم بعض الألفاظ الغريبة والغامضة في القرآن والحديث، حيث إنَّ العلماء قاموا بجمع اللغة وضبطها حين علموا أنه لا يوصل إلى معرفة كتاب الله -عزَّوجلَّ- ومعرفة حديث رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وصحابته "رضي الله عنهم" وأئمة الهدى إلاَّ بمعرفة لغات العرب وأنحائها [1].

أصبحت لدى العرب صعوبةً في فهم ألفاظ القرآن ومعانيه وهذا مما دفع الصحابة للّجوء إلى شرح الألفاظ الغامضة فيه، وأولهم ابن عباس الذي « كان يُعنى بالغريب وبالشعر ويستعين بهما في عمله في تفسير القرآن، حتى ذكر له كتاب في (غريب القرآن) »[2].

يقول العلاَّمة "**حاج صالح**": « إنَّهم تناولوا بالدراسة النص القرآني المنطوق له أداهم على الفور إلى النزول إلى الميدان و السماع من أفواه هؤلاء الناطقين الذين نزل القرآن بلسانهم.وقد بادروا إلى ذلك من زمان جدّ مبكر فقد اهتم عبد الله بن عباس، كما هو معروف، بتفسير بعض الكلمات من الكتاب الكريم باللجوء إلى الشعر العربي »[3].

---

[1]- التواتي بن التواتي: محاضرات في أصول النحو،دارالوعي للنشروالتوزيع،الرويبة،الجزائر،2008 م،ص56

[2]- محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص78.

[3]- السماع اللغوي ، ص397.

ذهب إلى أنَّ علماء اللُّغة قد اهتموا اهتمامًا كبيرًا بدراسة النصّ القرآني بحيث كان السبب الرئيسي الذي قادهم إلى النزول إلى الميدان و السماع من الأعراب الفصحاء المادة اللغوية وجمعها من أفواههم لتُعينهم في شرح ألفاظ القرآن الغريبة والتي صَعُب فَهمُها ويُقرُّ بأنَّ عبد الله بن عباس هو أول من تطوَّع إلى تفسير بعض كلمات من القرآن الكريم باللجوء إلى دواوين أشعار العرب؛ لتُسهّل عليه الأمر.

وبالتالي نجد ابن عباس « هو الذي سنَّ ذلك للمفسرين، وقال إنَّ الشّعرَ ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرفُ من القُرآن الذي أنزله الله(بلغة العرب) رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه »[1].

كان ابن عباس يشرح ألفاظ القرآن ويُفسّر معانيه الغريبة، ويستعين في ذلك بكلام العرب ودواوين أشْعارها ، فظهر له كتاب يسمَّى "غريب القرآن" وهو أول كتاب أُلفَ في الغريب. فقد جاء في الأمالي للقالي: « أنَّ أعرابيًا أتى إلى ابن عباس فقال:

تَخَوَّفني مالي أخٌ لي ظالمٌ *** فلا تخْذُلني اليوم يا خيرَ منْ بَقي

فقال: تخوَّفك أي تنقُّصك، قال: نعم، قال: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖۖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة النحل/ الآية:47، أي على تنقُّص » [2].

وبذلك يَتضح لنا أنَّ علماءَ اللغة أعطوا عناية كبيرة للقرآن الكريم ، حيث كان « نصيب القرآن من درسهم أكبر من الشعر و النثر، فاهتموا به اهتمامًا كبيرًا، لأنه مصدر دراساتهم و فكرهم ينهلون من معينه الذي لا ينضب » [3].

---

[1]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص255.

[2]– القالي : كتاب الأمالي في لغة العرب ، مطبعة دار الكتب المصرية، ج2 ، ص114.نقلا عن كتاب محاضرات في أصول النحو، التواتي بن التواتي ،ص125.

[3]– كعواش عزيز: نظرية النحو القرآني بين الدلالة اللغوية والدلالة الدينية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، 2009 ع5 ، ص 342.

لقد سار العلماءُ على درب ابن عباس من أجل خدمة القرآن والحفاظ عليه فأعطوا قدرًا كبيرًا من الاهتمام، فكان مصدرُ دراساتهم وفكرهم، ومن هؤلاء نجد أبا عبيدة يقول **العلاَّمة**" **حاج صالح**":« فالجدير بالذكر أن أبا عبيدة يحاول دائما وفي كل صفحة من كتابه أن يفسّر ما جاء في القرآن ويعلق عليه باللجوء المنتظم إلى كلام العرب شعرا ونثرا »[1].

تحدَّث عن اهتمام العلماء القدامى بالعربية وتعاملهم معها ؛ فذكر أبا عبيدة حيث يرى أنَّه جعل كتابه "مجاز القرآن" كله ممزوجا بألفاظ من القرآن مع كلام العرب؛ أي كان يفسّر ما جاء من ألفاظ من القرآن ثم يعلّق عليه بكلام العرب شعرًا ونثرًا، وقد أخذ نماذجَ من أقواله تُثْبت ذلك . وكان اختياره لأبي عبيدة كونه من العلماء الأوائل الذين أعطوا اهتمامًا لهذه الدراسة .

كما وجَّه نظره أيضا إلى سيبويه، حيث يقول:« أخذ سيبويه على عاتقه أن يذكر لكل صفة أو خاصية لغوية شاهدا من كلام العرب ينطلق منه ثم يواصل كلامه بقوله: "ومثل ذلك في القرآن" أو " مثل ذلك في الشعر". فهذا يفعله باستمرار في كل صفحة من كتابه » [2].

يرى أنَّ سيبويه اتَّبع طريقة في تأليفه للكتاب وسار عليها في جميع صفحاته بحيث لمَّا يذكر صفة أو خاصية لغوية من كلام العرب ثم يستدلُّ من القرآن و الشعر. وذكر بعض النماذج التي تُبيِّن ذلك، يقول سيبويه:« كقولك: ما ضرب أخاك إلاَّ زيدٌ،ومثل ذلك قوله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الجاثية/الآية: 25

[1]– السماع اللغوي ، ص190.

[2]– السماع اللغوي ، ص164.

- وقال الشاعر:(بحر الطويل)

وقد عَلِمَ الأقْوامُ ما كان دَاءَها *** بثهلان إلاَّ الخزْيُ ممن يقُودها » [1].

أمَّا من ناحية شرح معاني وألفاظ الأحاديث النبوية اهتموا به و« تناولوه من حيث معرفة ألفاظه وكلماته وإعرابه »[2].

تناول العلماء الحديث الشريف من حيث شرح معانيه الغامضة وتفسيرها لغويا ومن « أشهر من ألف في غريب الحديث أبو عبيد القاسم بن سلام(ت224ه)... ومنهجه في تفسير غريب الحديث هو ذكر الحديث، وشرح ألفاظه شرحًا لغويًا، وذكر مشتقاتها، والاستشهاد على كل ذلك من القرآن والشعر » [3].

إذن نقول إنَّ السبب الأول الذي أدَّى بالعلماء إلى الإلمام باللغة الفصيحة هو تفسير وشرح بعض الكلمات الغامضة والغريبة التي وُجدت في القرآن والحديث وذلك بكلام العرب . وقد تعرض العلاَّمة إلى ذكر هذا، لكنَّه لم يتوسع فيه إنَّما أشار إليها إشارة فقط.

2- الحاجة إلى فهم الشّعر:

لقد اهتمَّ علماء اللغة اهتمامًا كبيرًا بالشّعر وشرْح ألفاظه الغامضة حيث « انصرف أكثرهم عن البحث في الشعر والتصفح على معانيه، فاقتصر العلم به على رواية اللفظ كما هو وما يقتضي لها من فهم المعنى كما هو »[4].

---

[1]- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت180ه): الكتاب ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، ط3 القاهرة ، 1408ه/1988م، ج1 ص50-51.

[2]- حمودي زين الدين مشهداني: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت لبنان ، 1426ه/2005م ، ص63.

[3]- عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط1، عمان الأردن ، 1424ه/2003م ، ص234.

[4]- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، ج1 ، ص316.

ذهب بعض اللغويين والرُّوَّاة إلى البحث في معاني الشّعر وتفسير ألفاظه، وذلك باللجوء إلى اللغة الفصيحة ،حيث « أعانتهم أيضا على تفسير غوامض الشعر واكتشاف صحيحه من زائفه »[1]. لم يقتصر جمع اللغة من الأعراب لشرح كلمات القرآن والحديث ،إنَّما كان سببا أيضا على تفسير غوامض الشعر و تمييزه بين الصحيح والزائف .

تحدَّث العلاَّمة عن الشعر عند العرب وعلى أهميته عند العلماء وكيفية أخذهم له، فحصر أهمَّ الشعراء الذين ظهروا في أربع فترات من الزمن بدءًا من العهد الجاهلي إلى أواخر القرن الرابع ، سنتناول هذا في الفصل الثاني إنشاء الله .

3- الاعتزاز باللغة وصيانتها من اللحن :

كان العربُ في الجاهلية يتكلمون بلغة فصيحة تنحدر من بيئة نقية وصافية؛ لأنهم « كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها، فيتكلمون في شئونهم بدون إعمال فكر أو رعاية قانون كلامي يخضعون له، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم، معلمهم بيئتهم المحيطة بهم »[2].

كان العربُ يتكلمون بالعربية على السليقة التي هي ملكة أودعت فيهم، وبالتالي فالعربي هو من يولّد اللغة ويوجد ألفاظها .

فلمَّا ظهر الإسلامُ منح للغة العربية مكانة عالية، وزادها أهمية، ورفع شأنها حيث تميَّزت عن باقي اللغات، كما تُعتبر اللغة التي نزَّل اللهُ بها أفضل دستور لخير أمة بُعثت في الأرض، وجعلها لغة أهل جنَّته، ممَّا أفضَى لها أسمى السمات من فصاحة وبيان جاء في محكم تنزيله قولُه "عزَّوجلَّ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ سورة الشعراء / الآية195

[1]- عبد اللطيف الصوفي: مصادر اللغة في المكتبة العربية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة الجزائر ، (د ت) ، ص38.

[2]- محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1995م ، ص20.

– قال "**ابن فارس**" بهذا الصدد: « فلمَّا خصَّ –جلَّ ثناؤه– اللسان العربي بالبيان عُلمَ أنَّ سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دُونه »[1].

لقد فضَّل اللهُ–سبحانه وتعالى– اللغة العربية عن سائر لغات العالم ، وبهذا أصبح العرب يتميزون بدستورهم العظيم ولغتهم النبيلة، فصاروا يتمسكون ويعتزُّون بها أيَّما اعتزاز . و الجدير بالذّكر، أنَّ ظهور الإسلام لم يكن على العرب فقط بل ساد معظم بلاد الأعاجم أيضًا فالقرآن عربي والإسلام للناس أجمعين.

وقد نوَّه العلاَّمة **حاج صالح** بقوله: « من المعروف أن انتشار الإسلام في القرن الأول من الهجرة كان سببا في امتزاج العرب بغيرهم وتداخلهم وتعايشهم في حواضر الإسلام التي بناها المسلمون كالكوفة والبصرة وحصل ذلك حتى في مدن شبه الجزيرة كمكة والمدينة وبعض القرى القديمة وأن هذا الاختلاط أثر أيَّما تأثير في العربية التي صارت في أفواه الأجيال الحضرية الجديدة على غير ما كانت عليه قبل هذا العصر» .[2]

فيرى أنَّ بعد مجيء الإسلام اتَّسع عبر بلاد العرب وذاع في جميع البلدان حدث اتّصال بين العرب والعجم ؛ وذلك عند دخول الفرس والرُّوم على البلاد العربية لأسباب عديدة ، هناك من استوطن فيها مما أثَّر ذلك على الطرفين وأدَّى إلى انتشار اللغة العربية على ألسنة العجم ؛ لأنَّ جُلَّ من كان يسمعها أقبل يتعلمُها . بيد أنَّ هذه اللغة بعد ثبوتها على ألسنة البشر قد مسَّها نوع من الزيغ والاختلاط مع كلمات أجنبية ممَّا أدَّى ذلك إلى فساد اللغة .

لا ضير فيما أصاب لغتنا مثل هذا الوباء الذي أسموه "اللحن" حيث « لمَّا خافوا على سلامة اللغة العربية بعد أن اختلط أهلها بالأعاجم إثر الفتوح و سكنوا بلادهم

[1]–ابن فارس (أبو الحسين أحمد، ت395ه): الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويمي بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1382ه/ 1963م ، ص40.

[2]– السماع اللغوي ، ص25.

وعايشوهم نشأ عن ذلك بسنة الطبيعة أخذ وعطاء في اللغة والأفكار و الأخلاق والأعراف » [1].

كان ظهور اللحن في صدر الإسلام نادرًا في بعض الأحيان على ألسنة الناس التي لم تتغذَّى بالفصاحة حينذاك ، مع مرور الوقت بدأ يزداد شيئًا فشيئًا، إذ لاحظ العلماءُ قد « طرأ على العربية وألسنة العرب من انحراف الفصحى بشيوع الأخطاء وازدياد الفساد اللغوي، حتى القرآن الكريم لم يسلم من الخطأ في التلاوة فيه » [2].

هناك بعض الأقوال التي تُبيِّن لنا انتشار اللحن سندرجها فيما يلي:

– يقول" **ابن جنّي**"(ت 392ه): « رووا أيضا أن أحد ولاة عمَر "رضي الله تعالى عنه" كتب إليه كتابا لحن فيه، فكتب عُمر أن قنّع كاتبَك سوطًا ».[3]

وذُكر في بعض الروايات:

– « قال أبو الأسود الدؤلي–رحمه الله– دخلت على أمير المؤمنين عليَّ–عليه السلام– فرأيتهُ مطَّرفا مفكّرًا ؛ فقلتُ:فيم تُفكّر يا أمير المؤمنين ؟. فقال: سمعتُ ببلدكم لحنًا، فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية، فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية، ثم أتيته بعد أيام، فألقى إليَّ صحيفة فيها:''بسم الله الرَّحمن الرَّحيم" : الكلام كله اسم وفعل وحرف ؛فالاسم ما أنبأ عن المسمَّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل » .[4]

---

[1]– سعيد الأفغاني: في أصول النحو ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ،دمشق ، 1414ه/1994م ، ص6.

[2]– محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص59.

[3]– ابن جني (أبو الفتح عثمان ، ت392ه): الخصائص، تح: محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية، (د ب) (د ت) ج2 ، ص8.

[4]– القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، ت624ه): إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط1، القاهرة ، مصر،1406ه/1986م ، ج1 ، ص 39.

نلحظ من ذلك أنَّ علماءنا لمَّا فطنوا بهذه الظاهرة سَعوا إلى وضع سياجًا يحفظ العربية من جميع الأخطاء ، فذهب لفيف من اللغويين إلى أنَّهم قد مسَّتْهم « الحاجة إلى نقط القرآن نقطًا كاملاً ما لبث أن صارت ماسة عندما ظهر التصحيف واللحن على ألسنة الناس ، سواء منهم العرب أنفسهم ومن دخلوا في الإسلام من البلاد المفتوحة»[1].

لقد وضع العلماءُ نقَطًا على القرآن الكريم صونًا من اللَّحن الذي ظهر على ألسنة الناس، رُوي أنَّ « زيادًا سمع بشيء مما عند أبي الأسود، ورأى اللحن قد فشا، فقال لأبي الأسود: أَظْهر ما عندك ليكون للناس إمامًا، فامتنع من ذلك، وسـله الإعفاء حتى سمع أبو الأسود قارئًا يقرأ: (وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾)سورة التوبة / الآية:3 .

(رسُوله) بالكسر، فقال: ما ظنَنْتُ أمر النَّاس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليُبْلغني كاتبًا لقنًا يفعل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتى بكاتب آخر... فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فأنْقُط نقطة فوقه على أعلاه، وإنْ ضممتُ فمي فأنقُط نقطة بين يدي الحرف، و إن كسرت فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن مكّنت الكلمة بالتنوين فاجعل أمارة ذلك نقطتين ففعل ذلك »[2]. وقيل أنَّ نصر بن عاصم اللَّيثي(89ه) أكمل هذا العمل إذ « وضع نقطًا جديدًا على حروف المصحف يميز بين الأحرف المتشابهة في الرسم منسقًا بين مجموعات الحروف ناقطًا بعضها من فوق وبعضها من تحت حتى استكملت الحروف إعجامها وهو معروف إلى اليوم ، وسمي هذا النقط(نقط الإعجام)، وبنقط أبي

[1]– عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، ص32.

[2]– القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج1 ، ص40.

الأسود الإعرابي ونقط نصر الإعجامي استطاع المسلمون أنْ يحصنوا القرآن بحصن منيع من اللحن والخطأ »[1].

يتَّضح لنا من هذه الأقوال أنَّ اللغويين قاموا بجهد كبير يرجع إلى «الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحًا سليمًا إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة »[2]، كما يرجع إلى أنَّ « الشعوب المستعربة أحسَّت الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلا مستقيما وتتقن النطق بأساليبها نطقًا سليمًا »[3].

كان العرب والمسلمون يُحبُّون اللغة العربية ويعتزُّون بها أيَّما اعتزاز فأعطوا لها اهتمامًا خاصًّا للدّفاع عنها والتَّضحية من أجلها لتبقى إرثًا تتوارثه الأجيال اللاَّحقة

« فكانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم، وينشأوا على تفوقهم اللغوي... ومثال ذلك ما نسمعه عن الرواة الذين ينضوون إلى البارزين من الشعراء يحفظون أشعارهم ويدرسونها ويتخذونها نمطًا لهم يحتذونه في آثارهم » [4].

– وقال "**ابن جني**" في هذا الموضع : « قيل: لو أحسَّت العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة، وما فيها من الغموض والرّقة والدّقَّة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم بها والتنويه منها »[5]،هنا يبيُّن ابن جني مدى إعجابه للغة العربية وما تتميَّزُ به من سمات لا توجد في لغات العجم بالرغم من أنَّه ليس عربي ويرى أنَّ العجمَ لو أحسَّت بلطف ما صنَعتْهُ العربُ لاعتذرت من لُغتها.

نلحظ مما سبق أنَّ تفشّي ظاهرة اللحن كان سببًا لدفع علماء اللغة إلى وضْع النحو وهذا النحو أدَّى إلى البحث عن اللغة لاستنباط القواعد ومن هنا فُتح مجال الرواية ، ثم

[1]– محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص55.

[2]– شوقي ضيف: المدارس النحوية ، دار المعارف ، ط7 ، القاهرة ، (د ت) ، ص11.

[3]– شوقي ضيف: المرجع نفسه ، ص12.

[4]–حسين نصَّار المعجم العربي نشأته وتطوره ، دار مصر للطباعة ، ط4 ، القاهرة ، 1408ه/1988م،ج1،ص14.

[5]– ابن جني: الخصائص ، ج1 ، ص242.

كان العربُ يعتزُّون ويتمسكون باللغة كثيرًا مما جعل ذلك دافعًا للإلمام بهذه المادة الفصيحة من القبائل وشدَّ الرّحال للبحث عن اللغة الفصيحة من البوادي.

من خلال ما تجلَّى نستنتج أنَّ « مما دفع اللغويين إلى أنْ يعرفوا اللغات الفصيحة ولغات القبائل العربية المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية وما حلَّ القرن الثَّاني الهجري حتى وجدوا لرواية اللغة ضرورة يرجع إليها اللغوي لفهم القرآن والحديث النبوي الشريف فالقارئ والمفسّر والمحدث بحاجة إلى معرفة الشعر والغريب من الألفاظ »[1].

إذن كانت الرّواية في القرن الثَّاني ضرورة احتاج إليها العلماء و الرُّوَّاة لخدمة القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة فهمًا و قراءةً، ومعرفة غرائب الشّعر وتفسيره والحفاظ على فصاحة اللغة العربية من الفناء.

[1]– حمودي زين الدين مشهداني: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري ، ص9.

– ثانيا : مراحل الرواية :

لقد تعرَّض إلى أهم مراحل الرواية، حيث تناول في حديثه الرُّوَّاة واللُّغويين الذين قاموا بهذا الجهد العظيم في رواية اللغة سواءً كانوا في البوادي أم في الحواضر، لذلك نرى أنَّ الرواية اللغوية قد مرَّت بمراحل وهي:

1– رحلة العلماء إلى البادية للسَّماع من العرب :

– يقول العلاَّمة" **حاج صالح**": « لقد رحل اللغويين العرب إلى كل صُقْع من أصقاع شبه الجزيرة وكانت رحلاتهم للسماع من أفواه العرب واسعة جدًّا وخاصة في العصور الأولى. فكان ينتقل بعضهم من البصرة أو الكوفة إلى وسط نجد وغربيه وإلى العالية ثم الحجاز ومنه إلى ما يتاخمه شرقًا كالبحرين ومن الحجاز إلى شمال اليمن فيقطعون المسافات البعيدة بعزيمة قوية جدًا »[1].

يرى بأنَّ علماء العرب القدامى قاموا برحلة إلى جُلَّ أصقاع شبه الجزيرة العربية في القرون الأولى بإرادة وعزيمة قوية جدًّا، وذلك للسماع ومشافهة الأعراب الفصحاء من العرب، وتدوين كل ما سَمعُوا من كلام فصيح، حيث شمل هذا السماع جميع المناطق من البصرة والكوفة إلى وسط نجد إلى العالية ، ومن الحجاز إلى شمال اليمن أيضًا ،ولاحظ أنَّ سماعهم كان سماعًا واسعًا جدًّا عبر نطاق شبه جزيرة العرب.

وقد وقف على جميع العلماء والرُّوّاَة الذين قاموا بهذا العمل بدءًا من أبي عمرو بن العلاء ، ثم ذكر أهم الرُّوَّاة الأوائل الذين خلفوا أبا عمرو وأكملوا عمله من بعده.

يقول بهذا الصدد :« هذا وتعلَّم من أبي عمرو طرائق التَّحري الميداني في اللغة وتدوين الشعر ثلاثة من اللغويين وهم الذين خلفوا بعد وفاته وأكملوا العمل العظيم الذي بدأه وهم الأصمعي(المتوفى في 215ه)، وأبو عبيدة(المتوفى في 211) وأبو زيد

[1]– السماع اللغوي ، ص347.

الأنصاري (المتوفى 205). وقد بثَّ فيهم أستاذهم حماسًا عظيمًا لهذا النوع من البحث»[1].

لقد اهتمَّ بالرُّوَّاة الأوائل وسلَّط عليهم الضوء وبدأ حديثه عن أبي بن العلاء والذي يراه الأستاذ الأول في طرائق التَّحري الميداني في اللغة وهو أوَّل من رحل إلى بوادي الجزيرة ثم تلاه ثلاثة من اللغويين خلفوه بعد وفاته وأتمُّوا العمل ويرى أنَّه هو الذي بثَّ في تلاميذه الحماس للبحث؛ هم الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري. هذا فيم يخصُّ علماء البصرة، أمَّ من الكوفيين فذكر" المفضَّل الضَّبي" فقال عنه بأنَّه « أوَّل كوفي قام بما قام به أبو عمرو من التحريات في عين المكان ».[2]

نلحظ من خلال هذا أنَّ هؤلاء العلماء هم الرُّوَّاة الأوائل الذين نزلوا إلى الميدان و قاموا بجمع اللغة وقد أحصى العلاَّمة جميع العلماء الذين قاموا أيضًا بهذا الجهد طيلة القرون الأولى، وقد « استمرَّت الرحلة إلى البادية إلى أواخر القرن الرابع ».[3]

– يقول العلاَّمة "**حاج صالح**" :« أما خاتمة المطاف بالنسبة للفصاحة السليقية فتبتدئ في القرن الرابع بالنسبة إلى البوادي أيضا وقد شهد بعض اللغويين ما بقي من هذه الفصاحة أي البيئات الفصيحة و كذلك فعل الجغرافيون العرب فوصفوا بالتدقيق المساحات التي تغيرت اللغة فيها وأشاروا إلى من كان لا يزال فصيحا من أهل شبه الجزيرة وانتهى عهد البيئات الفصيحة في نهاية القرن الرابع بشهادة ابن جني هو بنفسه رحمه الله »[4].

يرى أنَّ رحلة العلماء إلى البوادي دامت إلى أواخر القرن الرابع الهجري دلالة على اختفاء الفصاحة (السليقية) من البادية وانتهاء السماع اللغوي بشهادة ابن جني

---

[1]– السماع اللغوي ، ص339.

[2]– السماع اللغوي ، ص339.

[3]– محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب ، ص67.

[4]– السماع اللغوي ، ص 132.

ويستدلُّ من خلال قوله :« وعلى ذلك العملُ في وقتنا هذا؛ لانكاد نرى بدويا فصيحا وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه وينال ويغض منه »[1].

– يقول العلامة:« وهذه شهادة تثبت اختفاء الفصاحة السليقية حتى في البادية وإن كان حصل ذلك على درجات كما يدلُّ على ذلك كلام الهمداني وابن جني وبذلك انتهى السماع اللغوي وخُتمت التحريات اللغوية الميدانية فيما يخص اللغة العربية التي كان ينطق بها ما أسموهم بفصحاء العرب »[2].

لقد تتبَّع شواهد العلماء التي تثبت اختفاء الفصاحة السليقية من البيئات الفصيحة، وجعل هذا الكلام الذي قاله كل من ابن جني وغيره هو دليل على انتهاء السماع اللغوي واختتام التحريات الميدانية اللغوية التي قامت على لغة فصحاء العرب، وقد دوَّنوا العلماء كل ما جمعوه فاستقى الدارس بما هو موجود من مصادر اللغة .

2– رحلة الأعراب الفصحاء من موطنهم إلى حواضر العلم :

كانت المرحلة الأولى من الرّحلة هي جمع المادة اللغوية من أفواه الفصحاء من البادية تخصُّ العُلماء والرُّوَّاة، فأصبحت بعد ذلك معاكسة.

– يقول العلامة" **حاج صالح**" :« هذا وقد جاء في كتب اللغة الكثير من الأخبار حول لقاء اللغويين مع الأعراب في البصرة وكان اللغويون شديدي الحرص على لقائهم: فقد كانوا يتلقفونهم ويعرضون عليهم النزول عند أحدهم فيقضون معهم الأيام يسمعون منهم ويكتبون كل ذلك » [3].

يقصد من قوله هذا أنَّ ثمَّةَ أعراب فصحاء قاموا بهجرة إلى حواضر العلم كالبصرة واستوطنوا فيها، وكان اللغويون يسمعون منهم عن قُرب ويصرّون على اللقاء

[1]– ابن جني: الخصائص ، ج2 ، ص5.

[2]– السماع اللغوي ، ص131.

[3]– السماع اللغوي ، ص358.

بهم والقضاء معهم في الحضر، فأصبحت بينهم علاقة وطيدة في لقاءاتهم وحواراتهم في الأخذ والعطاء.

وبذلك نجد كثير من الأعراب أَخذتْهم الرَّغبة أيضًا إلى أنْ « رحلوا إلى المدن واستقرُّوا بها وبضواحيها يحملون بأيديهم ثروتهم اللغوية ويعرضونها على مقربة من موطنهم »[1].

كانت هجرة الأعراب محمَّلةً بالأمتعة من مادة وثروة لغوية لنقلها إلى علماء اللغة فكان بينهم أخذ وعطاء مما فتح بينهم مجال الحوار والمنافسة.

لقد نقل إلينا العلاَّمة أهم اللّقاءات التي دارت بين العلماء والأعراب من بين النماذج نذكر:

– **جاء في الأمالي للقالي:**« حدثنا أبو بكر–رحمه الله– قال: حدثنا عبد الرحمان عن عمه قال: قدم أعرابي البصرة فنزل على قوم من بني العنبر وكان فصيحًا، فكنا نسير إليه فلا نعدم منه فائدة » [2].

رأينا أنَّ هؤلاء الأعراب الذين رحلوا إلى الحواضر بُغْيَةَ نقل المادة اللغوية للعلماء لكنَّ يوجد هناك « بعض الأعراب قد احترف بيع بضاعته من الكلام سواء في البادية أو الحضر، ذلك وسيلة كسب ومعيشة، ومن نماذج هؤلاء:

– أبو البيداء الرياحي: وهو أعرابي نزل بالبصرة، وكان يُعلّم الصبيان بأجرة وأقام بها أيام عمره يؤخذ عنه العلم.

– أبو مالك عمرو بن كركرة: هوأعرابي كان يُعلّم في البادية و يُورّق في الحضر »[3].

---

[1]– محمد خان: أصول النحو العربي ، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية ، مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، 2012م ، ص50.

[2]– القالي (أبو إسماعيل بن القاسم بن عيذون، ت 356ه): كتاب الأمالي ، تح: صلاح الدين بن فتحي هلل وسيّد بن عباس الجليمي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، 1424ه/ 2003م ، ج1 ، ص269.

[3]– محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، دار الشرق الأوسط للطباعة العطار وشركاه ، ط3 ، القاهرة ، 1988م ، ص15–16.

– أشار العلاَّمة "**حاج صالح**" « وبعض هؤلاء الأعراب من علماء البطن والقبيلة نزحوا إلى البصرة أو الكوفة ولا نقصد بذلك الأعراب الذين نزحوا في قديم الزمان إلى المصرين بعد تمصيرها أو من نزح من العشائر بأكملها إلى العراق بل رواة القبيلة الذين كان لهم علم واسع بأشعار العرب وأخبارهم وأنسابهم. فهؤلاء بعد تحضرهم صار أكثرهم يحترف مهنة التعليم في الكتاتيب أو صاروا يعملون كورَّاقين ينسخون الكتب ويتجرون بها » [1].

لقد ذكر الأعراب الرُّوَّاة الذين أخذت عنهم اللغة وتعاملوا معهم بصفة دائمة ويرى أنَّ أولئك يمتلكون علمًا واسعًا بأشعار العرب وأخبارهم وأنسابهم فاعتمدوا على تجارة ثروتهم اللغوية وأصبح كلٌّ واحد منهم يحترف مهنة للكسب والعيش؛ فمنهم من قام بتعليم الصّبيان بأُجرة ، ومنهم من صار يعمل كورَّاقين للكتب وبيعها، أمثال أبو المسحل وأبو مالك عمرو بن كركرة وأبو البيداء وغيرهم من الأعراب .

إذن « ظلت البادية والأعراب ينبوعًا ثرًّا نهل اللغويون منهما طيلة القرون الثلاثة الأولى لمعرفة دقائق اللغة ومفرداتها ولهجاتها »[2]، كما أنَّهم حصلوا على جميع المصادر اللغوية واستفادوا منها كل الإفادة .

[1]– السماع اللغوي ، ص365.

[2]– حمودي زين الدين مشهداني: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري ، ص10.

المبحث الثالث: أهمُّ الرُّوَّاة اللُّغويين

تُعدُّ مدرستي البصرة والكوفة من أهم المدارس الأوائل اللتان قامتا بالرّواية اللغوية حيث تشكّلت كلّ منها على مجموعة طبقات من النحاة واللغويين الذين درسوا فيها واتَّبعوا كل منهم منهجًا خاصًا في المذهب الذي ينتمون إليه، كما حرصُوا كل الحرص على أهمية الرواية بجمع اللغة من فصحاء العرب.

و قد ذكر العلاَّمة " **حاج صالح**" جميع الرُّوَّاة الذين سعَوا إلى جمع المادة العلمية وقاموا بهذا العمل الجليل، سنقف على ثُلَّة قليلة منهم نظرًا لكثرة عددهم الطَّائل.

أولاً: رُوَّاة البصرة :

1- أبو عمرو بن العلاء (ت 154ه) :

من أشهر العلماء الأوائل الذين قاموا بتحريات أماكن الجزيرة العربية نذكر أبو عمرو هو« أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازني النَّحوي المقرئ أحد القُرَّاء السبعة المشهورين... كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد وروى عن أنس بن مالك وأبي صالح السمان وعطاء وطائفة ».[1]

تميَّز أبو عمرو بن العلاء بعلمه الكبير، جاء في "**البيان والتبيين**": « قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب، والعربية، وبالقرآن، وبأيام العرب وأيام الناس»[2].

يُعتبر أبو عمرو من العلماء الذين لهم علم كبير بالشعر والقرآن وبأيام الناس .

---

[1]- السيوطي(الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، ت911ه): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، (د ب)، 1399ه/1979م، ج2، ص231.

[2]- الجاحظ(أبو عثمان بن بحر الجاحظ، ت255ه): البيان والتبيين ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 7، القاهرة ، مصر، 1418ه/1998م ، ج1 ، ص321.

وكان « حريصًا على الحفظ، كثير المحفوظ، حتى إنَّه في مجلسه لم يكن يحدث تلاميذه إلاَّ من ذاكرته، ومع ذلك فقد كان كثير التدوين » [1].

كان أبو عمرو يحمل علمًا كثيرًا بالقرآن والعربية و الشعر، لأنَّه كان يتميز بالذكاء والفطنة وسرعة الحفظ، مما جعلته هذه الصفات عالمًا من العلماء الكبار. وقد روى عنه أبي عبيدة أنَّه قال: « كانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتًا له إلى قريب من السقف ، ثم إنَّه تغير فاحرقها كلَّها، فلمَّا رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلاَّ ما حفظه بعلمه وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية »[2].

لقد وقف العلاَّمة" **حاج صالح**" عند هذا العالم واللغوي الكبير ، حيث بدأ أول كلامه بعناصر التَّحريات و السماع من العرب ، حيث قال: « إنَّ أبا عمرو بن العلاء هو الذي ابتدع طريقة السماع اللغوي الميداني ولم يسبقه إلى ذلك أي لغوي آخر »[3].

اعتبر أنَّ أبا عمرو بن العلاء هو من أسَّس للجغرافية اللغوية؛ أيْ أنَّه أول من وضع طريقة السماع اللغوي الميداني ولم يسبقه أحد من العلماء.

– وقال أيضًا : « لدليل على توسعه في تحرياته الميدانية ، فقد تجوَّل من العراق إلى اليمن ومن الحجاز إلى البحرين ويدل على ذلك كثرة ما ينسبه إليه تلاميذه وخاصة الأصمعي من روايات الخاصة بالشعر »[4].

ذهب إلى أنَّ إجماع العلماء الذين تتلمذوا على أبو عمرو بن العلاء يشهدون عليه بتميُّزه بعلمه الواسع وما يَروون عنه من روايات الشعر؛ ذلك نتيجة ترحاله إلى البادية وسماعه المرهف من العرب الفصحاء. فيرى أنَّه قد قام بتحرّياته الواسعة عبر شبه

[1]– عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، ص26.

[2]– القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج4 ، ص133.

[3]– السماع اللغوي ، 337.

[4]– السماع اللغوي ، 339.

جزيرة العرب، وتجوَّل في معظم أنحائها من العراق إلى اليمن ثم من الحجاز إلى البحرين فأخذ منهم علمًا كثيرًا .

فقد« كان أبو عمرو بن العلاء من أوائل الرواة الذين رحلوا إلى البادية، يستنطق الأعراب، ويطيل الاستماع إليهم، ويعي عنهم فصاحتهم، وقد أعجب بأهل السروات»[1].

وقد أثبت ذلك بقوله جاء في المزهر:« قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء ألسنا وأعربهم أهل السَّروات وهنَّ ثلاث، وهي الجبال المطلَّة على تهامة مما يلي اليمن؛ فأولها هُذيل؛ وهي تلي الرمل من تهامة، ثم عليه السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف من ناحية منها، ثم سراة الأزد، أزد شَنُوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحرب ابن نصْر بن الأزد »[2].

– وقال العلامة : « إنَّ أبا عمرو امتاز عن جميع العلماء المعاصرين له بإلمامه وإحاطته لأكثر من تخصُّص وبتفوقه الكبير على غيره في كل واحد منها : القراءات واللغة والشعر و النحو »[3].

كانت وجهة نظَره من أبي عمرو أنَّه قد تميَّز عن جلَّ العلماء الذين عاشوا في عصره بعلمه الواسع و الكبير وبإلمامه لعديد من التخصُّصات؛ كاللغة والقراءات والشعر والنحو.

كما رُوى عن أبي عمرو بن العلاء أنَّه « حين سأله سائل قائلاً: خَبّرني عمَّا وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيه كلام العرب كلّه ؟ فقال أبو عمرو: لا، فقال السائل: فماذا أنت صانع فيما خالفتك فيه العرب وهي حجة؟ قال أبو عمرو: أعملُ على الأكثر

[1]- عبد اللطيف الصوفي: مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص37.

[2]- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،ت911ه): المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تح: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة علي البابي الحلبي وشركاه ، (د ب) ، (د ت) ، ج 2، ص483.

[3]– السماع اللغوي ، ص338.

وأسمى ما خالفني لغات أي لهجات. فقول أبي عمرو أعمل على الأكثر معناه أنَّه يؤسس القاعدة أو الحكم العام على الأمثلة الكثيرة أو الأكثر »[1].

نلاحظ من هذا القول أنَّ أبا عمرو يعتمد على القياس ، حيث يؤسس القاعدة على الأمثلة الكثيرة ، كما أنَّه « يُمثل ظاهرة السماع » [2] أيضًا.

توفي أبو عمرو بن العلاء « سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة » [3].

[1]– إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، مصر، 1978م ، ص20.

[2]– محمد سالم صالح : أصول النحو دراسة في فكر الأنباري، دار السلام للطباعة والنشر، ط1 ، القاهرة ، مصر 1427ه/ 2006م ، ص47 .

[3]– السيوطي: بغية الوعاة ، ج2 ، ص232.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي (170ه) :

الخليل بن أحمد هو« الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمن »[1].

لقد « شبَّ على حب العلم فتلقى عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي وغيرهما»[2] ، و كان الخليل « من الزهاد في الدنيا والمنقطعين إلى العلم »[3].

- قال **ابن فارس:** « لقد سمعت عليَّ بن محمد بن مهروية يقول: سمعت هارون بن هزاري يقول: سمعت سفيان بن عُيينة يقول: من أحبَّ أنْ ينظر إلى رجل خُلِقَ من الذَّهب والمسْك فلينظر إلى الخليل بن أحمد »[4] . وقال:« سمعت النضر يقول أكلت الدُّنيا بأدب الخليل وكُتبه وهو في خصّ لا يشعرُ به » [5].

نلاحظ من خلال هذه الأقوال أنَّ الخليل بن أحمد يُعدُّ من العلماء اللغويين العرب الكبار إذْ يتَصفُ بعلمه الواسع والفيَاض وأدبه الجمُّ ، حيث جمع بين ثلاث: العبادة و الأخلاق والعلم.

اهتمَّ الخليل برواية اللغة، إذ شافه العرب الفصحاء وسمع عنهم اللغة حيث رحل إلى « بوادي الجزيرة العربية، وشافه الأعراب في الحجاز ونجد وتهامة إلى أن ملأ جُعبته، ثم آب إلى مسقط رأسه بالبصرة » [6].

---

[1]- السيوطي : بغية الوعاة ، ج1، 557.

[2]- محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص77.

[3]- السيرافي(القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله، ت368ه): أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيتي ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط1، القاهرة ، مصر، 1374ه/1955م ، ص30.

[4]- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ص47.

[5]- ابن فارس: المصدر نفسه ، ص48.

[6]- محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص77.

لقد حقق الخليل إنجاز« أول كتاب العين المعروف الذي به يتهيأ ضبط اللغة »[1].

تطرَّق العلاَّمة" **حاج صالح**" إلى الخليل بن أحمد وأشار إليه بقوله: « الخليل أول من فكَّر في وضع معجم يبني على استفراغ تقاليب الأصول كما هو معروف »[2].

ذهب إلى أنَّ الخليل استفاد من جمعه للغة العربية الفصيحة واستغلَّها لوضع معجمًا يستفرغ فيه الكلمات العربية وهو أول معجم عربي يسمى "كتاب العين" .

توفي الخليل بن أحمد « بالبصرة سنة سبعين ومائة وعمره أربع وسبعون سنة ».[3]

وقد أَلّفَ مجموعة من الكتب منها:« كتاب النغم، كتاب العروض، كتاب الشواهد كتاب النقط والشكل، وكتاب فائت العين، كتاب الإيقاع »[4].

[1]– إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية ، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، ط1 ، عمان، الأردن 1427ه/2007م ، ص52.

[2]– السماع اللغوي ، ص341.

[3]- ابن النديم (محمد بن اسحق بن أبي يعقوب، 377ه): الفهرست ،تح: رضا تجدد ابن علي زيد الدين، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، 1391ه/1971م ، ج2 ، ص48.

[4]– ابن النديم: المصدر نفسه ،ج2 ، ص49.

3- الأصمعي : (ت 216ه) :

الأصمعي هو« عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع... ولد في البصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة هجرية » [1]. وهو تلميذ الخليل .

كان هذا اللُّغوي « صاحب لغة وغريب وأخبار ونحو ومُلَح، يكره اختراع المعاني والعناية بالعروض »[2].

كما يُعدُّ من أولئك الذين أحبُّوا اللغة العربية وصدقوا في أعرابيتهم حيث « حدا به إفراطه في حب العرب والعربية إلى إفراطه في الزراية على المولد أو الأدب الحديث بالنظر إلى أدب أساتذته ومن سبقهم من الأدباء والأئمة » [3].

لقد قام الأصمعي بما قام به شيوخه برحلة إلى بوادي الجزيرة وأخذ اللغة منهم ونجد أنَّ « أكثر سماع الأصمعي من الأعراب وأهل البادية، وقلَّما يأخذ الإنسان كتاب أدب ولا يرى فيه لأبي سعيد خبرا عن الأعراب وأهل البادية » [4].

نستنتج من خلال هذا أنَّ الأصمعي امتاز بتجواله الواسع حول القبائل الفصيحة وسماعه المرهف وكثرة الرواية عن الأعراب.

لقد أشار العلاَّمة « بأنَّ الأصمعي يكاد يكون المصدر المطرد في كل رواية »[5].

يُقرُّ العلاَّمة بأنَّ الأصمعي اشتهر بكثرة الرواية عن الأعراب في البادية وهذا يدل على اتساع علمه، حيث أطلق عليه اسم المصدر المطرد، وصنع نفسه بهذا العلم فأصبح عالمًا كبيرًا ولغويًا.

---

[1]- ضياء الدين المقدسي(569-643): المُنتقى من أخبار الأصمعي ، تح: عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي7 ، ط1 ، دمشق ، 1354ه ، ص2.

[2]- محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص389.

[3]- ضياء الدين المقدسي: المصدر نفسه ، ص13.

[4]- ضياء الدين المقدسي: نفسه ، ص5.

[5]- السماع اللغوي ، ص340.

و« يقال مات الأصمعي في سنة سبع عشرة ومائتين أو ستة عشرة والله أعلم » [1].

ألَّف الأصمعي كتبًا كثيرة منها:« كتاب خلق الإنسان، كتاب الأجناس، كتاب الأنواء كتاب الهمز، كتاب المقصور والممدود، كتاب الفرق، كتاب الصفات، كتاب الأثواب كتاب الميسر والقداح، كتاب خلق الفرس، كتاب الخيل ، كتاب الإبل، كتاب الشاة، كتاب الأخبية والبيوت، كتاب الوحوش ، كتاب الأوقات ».[2]

ثانيا : روَّاة الكوفة:

1- الكسائي (189ه):

الكسائي هو« أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان وقيل بهمن بن فيروز »[3].

أُطلق عليه اسم الكسائي « لأنَّه كان يحضر مجلس معاذ الهراء و الناس عليهم الحلل وعليه كساء روذباري »[4].

ذُكرت بعض الروايات عن سبب تعلُّم الكسائي النحو« قال الفراء إنَّما تعلَّم الكسائي النحو على الكبر؛ وكان سبب تعلُّمه أنَّه جاء يومًا وقد مشى حتى أعيا، فجلس إلى الهباريين –وكان يُجالسهم كثيرا، فقال: قد عيَّيْت، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن ! قال: كيف لحنتُ؟ قالوا له إن كنت أردت من التعب فقل: "أعييتُ" ، وإن كنت تريد من انقطاع الحيلة فقل، "عييت" (مخففة)، فأنت من هذه الكلمة لحنت، ثم قام من فوره ذلك يسأل عمَّن يعلّم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء فلزمه حتى أنفذ ما عنده » [5].

---

[1]– السيرافي: أخبار النحويين البصريين ، ص52.

[2] - ابن النديم: الفهرست ، ج2، ص61.

[3]– ابن النديم: المصدر نفسه، ج2، ص72.

[4]– ابن النديم : نفسه ، ج2 ، ص72.

[5]– القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج2 ، ص257–258.

تطرَّق العلاَّمة "**حاج صالح**" إلى ذكر الكسائي أنَّه سمع الكثير عن الأعراب، لكن بإشارة ولم يتوسَّع في حديثه عنه ، يقول :

« كما اشتهر في هذا العصر من أهل الكوفة في العربية والسماع عن العرب –وفي القراءات– **الكسائي** (المتوفى في 189) من تلاميذ أبي جعفر الرؤاسي . وأكثر الفراء من ذكر سماع الكسائي في كتابه معاني القرآن »[1].

تلقَّى علومًا جمةً حيث « خرج إلى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقته فقال له: رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها وعندهما الفصاحة، وجئت إلى البصرة ! فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة. فخرج [ورجع] وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ »[2].

– ورُوي عنه « قال الأنصاري قدم الكسائي البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعن يونس بن حبيب وعيسى بن عمر علمًا كثيرًا صحيحًا ، ثم خرج إلى بغداد وقدم أعراب الحطمة، وأخذ عنهم شيئًا فاسدًا، فخلط هذا بذاك فأفسده »[3].

نرى أنَّ الكسائي لم يكن متشدّدًا بالأخذ والتحري عن الأعراب بل كان يقبل كل ما يسمع منهم من كلام ، حتى أفسد علمه بسبب الخلط .

ولقد « كان الكسائي معروفا بالثقة والأمانة والصدق فيما يروي، وعنه حمل معاصروه ومن كلامهم إحدى القراءات السبع الوثيق »[4].

صحيح أنَّ الكسائي قد توسع في أخذ اللغة مما نتج عن فساد علمه بشيء فاسد من أعراب الحطمة ، إلاَّ أنَّه يتصف بالثّقة والأمانة والصدق في الرّواية –كما أكدت

---

[1]– السماع اللغوي ، ص342.

[2]– القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ،ج2 ، ص258.

[3]– القفطي: المصدر نفسه ، ج2 ، ص274.

[4]– شوقي ضيف : المدارس النحوية ، ص175.

هذه الأقوال– حيث نسبت إليه إحدى القراءات السبع ، وهذا يدل على أنَّ الكسائي يُعدُ عالمًا ولغويًا كبيرًا في المدرسة الكوفية .

قيل أنَّ الكسائي « مات بطوس هو ومحمد بن الحسن، ولما رجع الرشيد إلى العراق قال: خلفت الفقه والنحو بزنبورية ، وقيل إنَّهما توفيا في سنة تسع وثمانين وبلغ عمره سبعين سنة »[1].

وله من الكتب « كتاب معاني القرآن، وكتاب مختصر النحو، كتاب القراءات كتاب العدد، كتاب النوادر الكبير، كتاب النوادر الأوسط، كتاب النوادر الأصغر، كتاب المقطوع القرآن وموصوله، كتاب اختلاف العدد، كتاب الهجاء، كتاب المصادر، كتاب أشعار المعيات وطرائقها، كتاب الهاات المكنى بها في القرآن، "كتاب الحروف" » [2].

هذا فيما يخصُّ عن الكسائي وما ظهر له من كتب فهي كثيرة لا تُحصى.

2– الفرَّاء : (ت 207ه) :

هو« أبو زكريا يحيى بن زياد المعروف بالفراء مولى بني منقر ولد بالكوفة »[3].

لقد أخذ الفراء العلم من العلماء الكبار حيث « قرأ بالبصرة على يونس بن حبيب ثم قرأ على الرؤاسي، ثم لازم الكسائي في بغداد »[4].

تطرَّق العلاَّمة " **حاج صالح** " إليه وأشار بقوله: « الفراء (المتوفى في 207ه) على رأس علماء اللغة والنحو في الكوفة ثم بغداد (ولهذا سموا بالبغداديين وهم غير المدرسة التي سميَّت الآن بالبغدادية) وكتاب معاني القرآن حافل بما سمعه صاحبه من أفواه العرب مباشرة وكان سماعه حقا واسعا » [5].

---

[1]- القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج2، ص269.

[2]– ابن النديم : الفهرست ، ج2 ، ص72.

[3]– ابن النديم: المصدر نفسه ، ج2 ، ص73.

[4]– سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، ص174.

[5]– السماع اللغوي ، ص342.

ذهب إلى أنَّ الفراء يُعدُ من العلماء الأوائل في الكوفة، وأنَّه قد سمع الكثير من كلام العرب، وأنَّ سماعه كان واسعًا جدًا وحتى كتابه معاني القرآن يدل على ذلك.

يعتبر الفراء « ممثلا بذلك المنهج الكوفي المعروف بالتوسع في السماع عن القبائل التي تسكن أطراف الجزيرة، كقضاعة وأهل اليمن وأزد وعمان وبكر وبني حنيفة وربيعة وكلب »[1].

نلاحظ أنَّ الفراء كان أحد العلماء الذين قاموا بالسماع وأخذ عن الأعراب الفصحاء حيث « روى عن أعراب وثق بهم مثل أبي الجراح وأبي ثروان وأبي فقعس وأبي دثار وغيرهم. وهو أول من قعد لدرس تفسير القرآن ومعانيه في مسجد من مساجد بغداد إلى جانب منزله، وكان ينزل بإزائه الواقدي »[2].

كان الفراءُ إمامًا ولغويًا كبيرًا يهتمُّ بتفسير معاني القرآن للنَّاس.

توفي الفراء « بطريق إلى مكة سنة سبع ومائتين وله من الكتب: معاني القرآن ألَّفه لعمر بن بكير" أربعة أجزاء" ، كتاب البهى ألَّفه لعبد الله بن طاهر ، كتاب اللغات كتاب المصادر في القرآن، كتاب الجمع والتثنية في القرآن، كتاب الوقف والابتداء كتاب الفاخر كتاب آلة الكاتب، كتاب النوادر..» [3].

نلاحظ أنَّ كتب الفراء ألَّفها حسب مختلف المجالات تخدم الدين واللغة والنحو.

[1]– محمد سالم صالح: أصول النحو دراسة في فكر الأنباري ، ص51.

[2]– محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص388.

[3]– ابن النديم: الفهرست ، ج2 ، ص73 .

3- أبو عمرو الشيباني (ت 206ه) :

هو« أبو عمرو، اسمه اسحق بن مرار، بكسر الميم الشيباني مولى لهم »[1].

لقد أخذ أبو عمرو علمًا كثيرًا، يقال أنّ « دخل أبو عمرو اسحق بن مرار البادية ومعه دستيجان حبرًا، فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب ».[2]

ذكر العلاَّمة " **حاج صالح** " في كتابه أبا عمرو الشيباني حيث قال: «هو الذي جمع دواوين القبائل والكثير من دواوين الشعراء فبذلك وبما حفظه من اللغة يكون من أوسع اللغويين سماعا وروى عنه الطوسي وابن السكيت وله كتاب الجيم وهو عبارة عن معجم للغريب الذي لا يعرفه إلاَّ القليل من العرب »[3].

يرى أنَّ أبا عمرو بن الشيباني يُعدُّ من أوسع الرُّواة سماعًا وأكثرهم حفظًا للُّغة بحث سمع الكثير من كلام العرب الفصحاء ، وجمع دواوين أشعار الشعراء والقبائل أيضًا، وله كتاب الجيم ، وقد روى عنه كثير من العلماء كالطوسي وابن السكيت.

وقد« بلغ أبو عمرو الشيباني مائة وعشرة سنين، ومات ست ومائتين »[4].

صنَّف العديد الكتب منها: « كتاب غريب الحديث، رواه عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أحمد عن أبي عمرو، كتاب النوادر المعروف بحرف الجيم (كتاب النخلة) كتاب النوادر الكبير، على ثلاث نسخ، (كتاب الإبل) ، كتاب خلق الإنسان، كتاب الحروف كتاب شرح كتاب الفصيح ».[5]

وفي الأخير نستنتج جملة ما سبق من هذا الفصل بأنَّ الرّواية كانت موجودة منذ الجاهلية عند العرب ، وقد عُرفت بمختلف التعريفات حسب العصور التي مرَّت بها

---

[1]- ابن النديم: الفهرست ، ج2 ، ص75.

[2]- القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج1 ، ص259.

[3]- السماع اللغوي ، ص342.

[4]- ابن النديم: المصدر نفسه ، ج2 ، ص75.

[5] - ابن النديم: نفسه ، ج2، ص75.

والمجال الذي تُستخدم فيه إلى أنْ أخذت معنى جديدا عند علماء اللغة القدامى وهي بمعنى أخذ الرُّواة اللغويين المادة من فصحاء العرب للحفاظ على اللغة العربية الفصيحة من الشوائب وفهم معاني وألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومعرفة غرائب الشعر . وقد مرَّت الرّواية اللغوية بمرحلتين: ذهابًا وإيَّابًا، وهي رحلة العلماء إلى البادية والسماع من الأعراب الفصحاء منهم مباشرة ثم انتقال الأعراب من مواطنهم إلى حواضر العلم لنقل اللغة إلى العلماء ،وقد وقف العلاَّمة حاج صالح" على جميع العلماء الذين قاموا بجمع اللغة وسلَّط عليهم الضوء خاصة العلماء الكبار كأبي عمرو بن العلاء الذي يراه أول من أسس طريقة السماع اللُّغوي الميداني ،كذلك الخليل بن أحمد ثم اتَّبعوهما ثلاثة من اللغويين وهم الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري، وقد رأى أنَّ هناك من الأعراب الفصحاء الذين هجروا إلى الحواضر قد اعتمدوا على تجارة ثروتهم اللغوية واتخذوها وسيلة للكسْب والعيش ،فمنهم من ذهب إلى تعليم الصبيان بأجرة ومنهم من أصبح يُوَّرق وينسخ الكتب.

الفصل الثاني: ضوابط جمع اللغة

المبحث الأول: المعايير المتبعة لجمع اللغة

المبحث الثاني: منهجية التحرّي

المبحث الثالث: اللغة الوافدة

المبحث الأول: المعايير المتَّبعة لجمع اللغة

أولاً: الفصاحة ومقاييسها الزَّمانية والمكانية والصورية

تناول العلاَّمة " **حاج صالح**" في كتابه فصلاً كاملاً حول الفصاحة السليقية ومقاييسُها المكانيَّة والزَّمانيَّة والصُّوريَّة اللّسانيَّة التي اعتمد عليها العلماء في جمع اللغة الفصيحة من شبه جزيرة العرب.

1- : مقياس الفصاحة :

لقد عالج العلاَّمة " **حاج صالح** " في كتابه مفهوم الفصاحة عند كثير من العلماء القدامى من منظور نحوي ولغوي وبلاغي ومراحل تطوّر مدلولاتها، وقد وضَّح لنا قصد علماءنا الأوّلين من استعمالهم لكلمة الفصاحة؛ حيث اعتمد في دراسته على طريقة المقارنة أو المقايسة الدلالية لاستخراج المعاني المقصودة في تلك النصوص من مادة (ف ص ح)، وبالتالي سنقف على بعض التعريفات التي تدلُّ على الفصاحة عند كل من علماء النحو واللغة والبلاغة والتي تناولها العلاَّمة في هذا الكتاب .

1-1 الفصاحة عند النحاة واللغويين:

إنَّ أوَّل من وضع معنى الفصاحة في كتابه هو" **سيبويه**" ، وقد أشار إليه **العلاَّمة** بقوله : « سيبويه لا يطلق صفة الفصاحة إلاَّ على الناطقين لا على كلامهم فكلما ثبت عنده أنَّ ما سمعه من الكلام من العرب هو حقيقة عربي فإنه يكتفي بوصفه كذلك »[1].

يرى العلاَّمة أنَّ **سيبويه** قد أعطى مدلولاً خاصًا للفصاحة بحيث لم يطلق صفة الفصيح على الكلام، وإنَّما كان قصدُه بذلك هو النَّاطق، أمَّا الكلام فيكتفي بوصفه "عربي".

[1]- السماع اللُّغوي ، ص42.

وقام العلاَّمة بعملية إحصاء لكتاب سيبويه، قولُه:« أحصينا 45 عبارة في كتاب سيبويه جاءت على هذه الصورة : سماع أو قول سُمع من عربي أو مجموعة محدودة من العرب ممن يوثق بعربيته » [1].

تدلُّ هذه العبارات التي ذكرها سيبويه على معنى الفصاحة وما يماثلها من مادة (ف ص ح) حيث استنبط العلاَّمة 45 عبارة بمعنى سماع أو قول من الأعراب فرادى أم جماعة ممن يوثق بعربيتهم، فهذه كلُّها لها سياق مرجعي واحد وهو السماع من فصحاء العرب؛ أيْ أنَّ هذه الكلمات التي استعملها سيبويه ترجع إلى معنى النَّاطق الفصيح الذي أُخذت عنه اللغة. سنذكر نموذجًا من قول **سيبويه:**

« سمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به » [2].

أمَّا "**المبرد**" قال: « وكل عربي لم تتغير لغتُه فصيح على مذهب قومه »[3].

نرى أنَّ المبرد أطلق صفة الفصاحة على النَّاطق الذي اكتسب لغته من بيئته الفصيحة بدون تلقين ولم تختلط بلغة غيرها.

لاحظ **العلاَّمة** من هذا أنَّ هناك مدلولين للفظ الفصاحة عند علماء القدامى وهما:

– صفة من يرتضي لغتهُ كلُ من ينطق بنفس اللغة على أصلها بدون تغيير

– وبالتالي عدم وجود لأي شيء في لغته لا ينتمي إلى لغة هؤلاء الناطقين وكلا هذين المدلولان يخصُّ السلامة اللغوية . [4]

للفصاحة مدلولان كما يرى **العلاَّمة** وهما: صفة من يرتضي لغتُه ؛ كونه الناطق باللغة الفصيحة (السليقية) التي نشأ بها في بيئة فصيحة ،وعدم انتمائه إلى لغة أخرى غير لغته، وكل هذا يدخل في السلامة اللغوية.

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص33.

[2]– سيبويه : الكتاب ، ج1 ، 26.

[3]– المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ت285ه) : الفاضل ، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية ط2 ، القاهرة ، 1995م ، ص113.

[4]– السماع اللغوي ، ص36.

2-1 الفصاحة عند البلاغيين :

يعتبر مصطلح الفصاحة عند علماء البلاغة مصطلحا هامًا في دراساتهم، إذ يحمل معنًا مغايرًا للمعنى الذي قصده النحاة، وقد وقف العلاَّمة " **حاج صالح** " عند قول "**الجاحظ**": « وكلَّما كانت االدَّلالة أوضَح وأفْصَح، وكانت الإشارُة أبيَنَ وأنورَ، كان أنفعَ وأنجعَ »[1].

يلاحظ من خلال هذا القول أنَّ معنى الفصاحة عند الجاحظ تكمن في الدلالة وهي الوضوح والإبانة ولهذا يقول:« فالفصيح إذن هو أيضا الواضح والبَّيُن »[2].

إذن إنَّ معنى الفصيح عند الجاحظ هو الكلام أو الدلالة الواضحةُ والبَيّنَة.

كما تَطرَّق إلى قول" **عبد القاهر الجرجاني** "« ولم يعلموا أنَّ المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة، أنَّها في اللُّغة أثْبتُ، وفي استعمال الفصحاء أكثرُ، أو أنَّها أجرى على مقاييس اللغة والقوانين التي وضعوها، وأنَّ الذي هو معنى "الفصاحة" في أصل اللغة، هو الإبانة عن المعنى بدلالة قولهم: "فصيح" و"أعجم"، وقولهم: "أفصح الأعجميُّ وفصح اللَّحَّان »[3].

من الواضح أنَّ الجرجاني ربط مفهوم القدامى للفصاحة بالمفهوم البلاغي وهذا ما رآه العلاَّمة حيث قال:« والجدير بالملاحظة أنَّ الجرجاني هو ابن زمانه مهما كان فهو يطلق صفة الفصيح لا على الناطق فقط بل على ما ينطق به أيضا...وقد علمنا من كلام عبد القاهر أن الفصيح من المفردات هو ما ثبت في اللغة أي ما سمعه بالفعل الثقات من اللغويين وما كثر منها في استعمال الفصحاء ثم ما كان خاضعا للمقاييس الخاصة بالعربية التي ينطق بها هؤلاء الفصحاء وأن الفصاحة هي، زيادة على ذلك

---

[1]– الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 ، ص75.

[2]– السماع اللُّغوي ن ص36.

[3]– الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت471ه): دلائل الإعجاز ، تعليق: أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1375ه، ص459/458.

الإبانة ومدلول الإبانة والوضوح مرتبط بمفهومي كثرة الاستعمال والشيوع وبالتالي بدرجات الفصاحة » [1].

شرح العلاَّمة قول الجرجاني ويرى أنَّ معنى الفصاحة عنده تشتمل أكثر من مدلول بحيث إنَّه لم يطلق صفة الفصيح على النَّاطق فقط بل على كلام النَّاطق أيضًا؛ أي الكلام الذي سمعه علماء اللغة بكثرة، زيادة على ذلك معنى آخر وهو الإبانة والوضوح وهما مرتبطان بمفهومي كثرة الاستعمال والشيوع .وأنَّ كثرة الاستعمال والشيوع هو مقياس الذي اعتمده اللغوي لإثبات اللغة الفصيحة.

– أيضا تطرَّق إلى قول **ابن الأثير** في المثل السائر:

« إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيّنُ، وأعني بالظاهر البيّن أن تكون ألفاظُهُ مفهومةً لا يُحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنَّما كانت بهذه الصفة، لأنَّها تكون مألوفة الاستعمال بينَ أرباب النظم والنثر، دائرة في كلامهم »[2].

– يقول **العلاَّمة حاج صالح** :« اكتفى ابن الأثير من المدلولات التي ذكرها الجرجاني بذكر المدلول الذي كان يهمُّه بل اهتم بجانب واحد وهو عم الغرابة وبالنسبة "لأرباب النظم والنثر" فقط »[3].

ذهب إلى أنَّ ابن الأثير قد جعل معنى الفصاحة تكمن في اللفظ الواضح وعدم الغرابة، بعيدًا عن مفهوم النحاة بمعنى السَّلامة اللغوية وكثرة الاستعمال.

تبين لنا من كل هذه المفاهيم أنَّ الفصاحة عند النحويين ليست هي عند البلاغيين وبالتالي قد تحول المفهوم اللغوي إلى المفهوم البلاغي بل تجاوز ذلك. و من هذا

---

[1]– السماع اللغوي ، ص37.

[2]– ابن الأثير(ضياء الدين بن الأثير): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تعليق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، (د ت) ، القسم الأول ، ص91.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص38.

المفهوم الذي قاله ابن الأثير نلاحظ أنَّ صفة الفصاحة خرجت من معناها اللغوي عند النحاة إلى معنى الوضوح وعدم الغرابة عند البلاغيين.

3-1 الفصاحة في اللغة: (المفهوم الوضعي):

تطرَّق العلاَّمة **حاج صالح** إلى مفهوم الفصاحة في اللغة بدءًا من القرآن الكريم ثم المعاجم اللغوية ؛ وردت لفظة (ف ص ح) في القرآن الكريم على لسان موسى "عليه السلام" في قوله "عزَّ وجلَّ" (وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾) سورة االقصص، الآية 34

و قوله تعالى: (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾) سورة الشعراء الآية 13-14.

لقد استعمل المقايسة الدلالية لهذين الآيتين حيث قال:« فمن هذه المقايسة الدلالية نعرف أن الفصاحة في مفهومها الأصلي هي طلاقة اللسان ، أي الخلوص من عقدة اللسان ».[1]

- أمَّا في معجم **مقاييس اللغة:**

« فصح: الفاء والصاد والحاء أصلٌ يدُلُّ على خُلوص الشيء ونقاءٌ من الثوب من ذلك اللّسان الفصيح: الطَّليق، والكلام الفصيح: العربيُّ، والأصلُ أفصح اللَّبنُ سكنتْ رغوتُه وأفصح الرَّجل: تكلم بالعربية »[2].

نلاحظ أنَّ معنى مادة (ف ص ح) في المعجم اللغوي ليس بعيدًا عن المعنى الموجود في القرآن.

يرى العلاَّمة أنَّ الفصاحة بمعناها اللغوي الوضعي هي طلاقة اللسان أي الخلوص من عقدة اللسان، وقد وضَّح لنا أنَّ المفهوم الأصلي للفصيح الذي كان يُعنى به علماء

[1]- السماع اللُّغوي ، ص53.

[2]- ابن فارس(395ه) : معجم مقاييس اللغوية، باب الفاء والصاد ، مادة(ف ص ح)، ص819.

اللغة في زمانهم والتي تخصُّ موضوعنا ،يقول:« فالفصيح الذي يجوز عند علماء العربية الأخذ بلغته هو النَّاطق الذي اكتسب ملكته اللغوية في العربية الفصيحة (لغة القرآن) بالسليقة أي في أثناء نشأته بدون تلقين وفي بيئة من السليقيين الناطقين بتلك اللغة » [1].

ويقول :« ولا دخل للبلاغة وحسن التعبير في ذلك وحتى طلاقة اللسان في أبسط أحوالها » [2].

فهو يرى أنَّ معنى الفصيح عند علماء اللغة هو النَّاطق الذي اكتسب لغته بالسَّليقة بدون تلقين، والمعيار الذي يؤخذ به لإثبات اللغة الفصيحة هو الكثرة والشيوع وليس الفصيح بمعنى طلاقة اللسان في اللغة العادية ولذلك لا دخل للبلاغة ولا الخلوص من عقدة اللسان.

نلحظ من خلال ما سبق أنَّ للفصاحة مدلولات كثيرة، حيث نجدها عند البلاغيين بمعنى اللفظ الواضح والبيّن وعدم الغرابة، مثال ذلك في الغرابة:

« كما رُوي عن عيسى بن عمر النحوي أنَّه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس فقال: مالكم تكأكأْتُم عليَّ تكأْكؤكم على ذي جنَّة افْرنقعُوا عليَّ أيْ اجتمعتم،تنحُّوا ».[3]

وفي المعنى الوضعي طلاقة اللسان ، أمَّا عند اللغويين هي صفة الفصيح الناطق الذي اكتسب لغته من بيئة فصيحة بدون تلقين وهي كمعيار عندهم بمعنى كثرة الاستعمال.

– قال **السيوطي:** « فالمراد بالفصيح ما كَثُر استعمالهُ في ألسنَة العرب ».[4]

– وقال **السيوطي** أيضا:« والتحقيقُ أنَّ المُخلّ هو قلةُ الاستعمال وحدَها فرجعت الغَرابةُ ومُخالفةُ القياس إلى اعتبار قلة الاستعمال والتنافر كذلك؛ وهذا كله تقريرٌ لكون مدَار الفصاحة على كثرة الاستعمال وعدمها على قلته »[5].

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص40.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص61.

[3]– السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص186.

[4]– السيوطي : المصدر نفسه ، ج1 ، ص187.

[5]– السيوطي : نفسه ، ج1 ، ص187.

نلاحظ من هذا القول أنَّ مدار الفصاحة عند العلماء هو كثرة الاستعمال لا قلَّتها وليس الغرابة ومخالفة القياس وتنافر الكلمات لأنَّها كلُّها تُرجع إلى قلة الاستعمال.

إذن إنَّ الفصيح عند الرُّوَّاة واللغويين هو الناطق الذي اكتسب لغته من بيئة عربية فصيحة لغتها هي اللغة التي نزَّل الله بها القرآن، وأنَّ مدار الفصاحة عندهم ومعيارها هو كثرة الاستعمال.

وخلاصة القول أنَّ المفهوم الدَّقيق للفصاحة عند العلماء العرب والمقياس الأول والأساسي لمعرفة الفصيح من العرب يقتضي ثلاثة شروط: « أولا: أنْ يكون الذي تُرضَى لغته قد اكتسب ملكته اللغوية في بيئته بسجيَّته ولم تكن له لغة أخرى نشأ عليها. ثانيا: ألا يكون أصل منشأه معروفا بكثرة الاختلاط اللغوي وثالثا: فإن سكن إحدى هذه القرى فألا يكون قد أطال مقامه فيها ».[1]

لاحظ العلاَّمة أنَّ علماء اللغة وضعوا مقياسًا وشرطًا للعربي للفصيح الذي تُؤخذ لغتُه ؛ بأنْ يكون قد اكتسب اللغة من بيئته بالسليقة ولا تكون له لغة ثانية غيرها وأن تكون هذه البيئة التي نشأ فيها بعيدة عن الاختلاط، وإنْ أقام في مكان ما ألاَّ يطول مقامه فيه.

2- : المقاييس المكانية الزمانية للفصاحة (السليقية) :

لقد قام علماء اللغة عند جمعهم للمادة اللغوية الفصيحة من العرب الفصحاء على وضع إطارًا جغرافيًا لغويًا بحتًا، لتحديد اللغة الفصيحة والقبائل المعنية بذلك.

يُعَدُّ مقياس الفصاحة معيارًا ضروريًا لمعرفة المناطق الفصيحة، يقول **العلاَّمة" حاج صالح"** :« فالفصاحة هي في الأصل الملكة اللغوية الخاصة بالذين يفهمون وينطقون باللغة التي نزل بها القرآن وهم كمرجع زماني مكاني (= نقطة صفر) أولئك الذين

[1]- السماع اللُّغوي ، ص135.

عاشوا في عهد النبي "صلى الله عليه وسلَّم". فكل من كان يوصف بالفصاحة ويؤخذ بلغته فمرجع فصاحته في الزمان والمكان هو فصاحة هؤلاء العرب وكل من سبقهم ممَّن وصل إلينا منهم كلام رواة الفصحاء وكل من جاء بعدهم من هؤلاء الفصحاء ومقياس فصاحتهم ألاَّ تكون تغيرت لغتهم السليقية بالنسبة للغة القرآن »[1].

لقد وصف الفصاحة بالملكة اللغوية هي الصفة التي تخصُّ العرب الفصحاء الذين ينطقون باللغة التي نزل بها القرآن وهم الذين عاشوا في زمن النبي " عليه الصلاة والسلام" وهنا تبدأ نقطة تطور الفصاحة السليقية من نقطة صفر، ويرى أنَّهم هم كمرجع زماني ومكاني، وأنَّ كل عربي فصيح الذي تُؤخذ لغته فمرجع فصاحة في الزمان والمكان هو فصاحة العرب الذين جاؤوا من قبله ومن بعده من الفصحاء ومقياس فصاحته ألاَّ تتغير لغته بالنسبة للغة القرآن. و المعنى أنَّ مرجع الزَّماني المكاني بالنسبة لفصاحة العربي هي كل من كان ينطق باللغة التي نزل بها القرآن.

لقد تطرَّق العلاَّمة إلى نص **الفارابي** الذي نقله **السيوطي** وهو كالآتي:

« الذين عنهم نُقلتْ اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين القبائل العرب هم قيس وتميم وأسد فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذوا ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم يؤْخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قط ولا سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم فإنهم لم يؤخذ من لخم ولا من جذام فإنَّهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ولا من قضاعة ولا من غسَّان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية ولا من تغلب ولا نمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ولا

[1]– السماع اللُّغوي ، ص66.

من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ولا حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم »[1].

ثم جاء "**العلاَّمة**" بالنَّص الأصلي للفارابي وقارنه بالنَّص الذي نقله السيوطي .

قال **الفارابي** :« وأنت تتبيَّن ذلك متى تأملت أمر العرب في هذه الأشياء، فإنَّ فيهم سكان البراري وفيهم سُكَّان الأمصار. و أكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين. و كان الذي تولَّى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق. فتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري منهم دون الحضر ثم من سكان البراري من كان أوسط بلادهم ومن أشدّهم توحُّشا وجفاء وأبعدهم إذعانا و انقيادًا. وهم قيس وتميم وأسد وطئ ثم هذيل. فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب. والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر ».[2]

– يقول **العلاَّمة** " **حاج صالح** ": « فقد زاد السيوطي أو غيره أسماء القبائل التي لمَّح إليها الفارابي أما المعنى فلم يتغيَّر على العموم »[3].

ذهب إلى أنَّه لا يوجد فرق بين نص الفارابي والنص الذي نقله السيوطي فمن ناحية المعنى معنى واحد، لكنَّ السيوطي زاد بعض أسماء القبائل التي لمَّح إليها الفارابي وهذا يعني أنَّ قصد السيوطي كقصد الفارابي فلا يختلف عنه أبدًا؛ بمعنى أنَّ العلماء قد ميَّزوا بين البدو والحضر، فأخذوا إلاَّ من القبائل العربية الفصيحة من أهل

[1]– السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج1 ، ص212/211.

[2]– أبو نصر الفارابي : كتاب الحروف ، تح: محسن مهدي، ط2 ن دارالمشرق ، بيروت، لبنان، 1990م ص147.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص67.

الوبر وهم قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، وتركوا أهل الحضر والقبائل التي تجاور العجم كتغلب وبكر ونمر وثقيف وغيرها من القبائل.

وهو لم يوافق هذا القول، وعارض رأي الفارابي وكل من يدَّعي بقول هذا الكلام فيرى أنَّ الذين تنبَّهوا إلى أهمية هذا النَّص من المحدثين خاصة نص المزهر كان منهم من لم يفهم كيف تذكر قبائل مثل إيَّاد وتغلب وقضاعة وغيرها، ويستدلُّ العلاَّمة على أنَّ العلماء قد استشهدوا بشواهد تنسُب إلى شاعر واحد على الأقل ينتمي إلى إحدى هذه القبائل مثل أبي دؤاد الإيادي والمهلهل والأخطل وغيرهم، وأنَّ هناك من فهموا من كلام الفارابي أنَّه يقصد فترة معينة من عصور الاستشهاد هي الفترة التي فرقُّوا فيها بين البادية والحضر وترك فيها أهل الحضر، ويذهب إلى أنَّ الفارابي لم يُميّز في الواقع بين هذا العصر الذي امتنع فيه العلماء من نقل من هذه القبائل؛ أي ما جمعوه قبل القرن الثاني الهجري وما بعده. وقد نوَّه العلاَّمة أنَّ ما نقل عن هذه القبائل لم يكن كلُّه صادرا من أفرادها أنفسهم في عصر واحد؛ أي ليس هناك عصر واحد أُخذت اللغة ممن عاش فيه ودُوّن كلامهم بل عصور متتالية وُجدت فيها الفصاحة السليقية وأنَّ الأماكن التي أقام فيها الفصحاء لم تبق هي على حالة واحدة على ممر العصور وهذا لم يعتقده أكثر الباحثين، لأنَّ رقعة الفصاحة السليقية من القرن الأول إلى القرن الرابع لم تكن بنفس الاتساع والامتداد.[1]

يرى **العلاَّمة حاج صالح:** أنَّ اللغويين قد تجولوا في جلّ الأقاليم من شبه جزيرة العرب حيث ، يقول:« وتجول اللغويون العرب في أكثر الأقاليم من شبه جزيرة العرب ولم يتركوا أي بطن وأي قبيلة إلاَّ سمعوا من أفرادها خلافا لما قاله الفارابي في نصه المشهور وأكبر دليل على ذلك هي النصوص نفسها فيكفي أن نتصفح المدوَّنة العظيمة

[1]– ينظر: السماع اللُّغوي ، ص67/ 68.

من النصوص التي وصلت إلينا ومن الشعر خاصة لنتبيّن أن أكثر القبائل العربية لها من يمثلها فيه ولو بشاعر واحد »[1].

يُثْبتُ بقوله أنَّ العلماء أخذوا اللغة الفصيحة من كل أصقاع الجزيرة، ولم يتركوا أيَّ بطن وأيَّ قبيلة إلاَّ أخذوا منها خلاف ما قاله الفارابي، ودليله على ذلك أنَّ النصوص هي وحدها تشهد على ذلك، بحيث إنَّ أكثر القبائل يمثلها شاعر واحد على الأقل، ويرى أنَّ هذا القول أكده أهل الاختصاص في الشعر من العلماء القدامى وقد وقف على هذا القول يقول:« يقول أهل الاختصاص من علمائنا القدامى إن أقدم الشعراء الذين وصل إليهم بعض ما أنتجوه ينتسب أكثرهم إلى قبيلة بكر وتغلب (من ربيعة) وجاء بعدهم شعراء بني تميم وقيس وغطفان(وكلهم من مضر). وكانت منازلهم في نجد: اليمامة إلى شواطئ الفرات والبحرين: وأما عامر بن صعصعة من قيس فكانت في غربي نجد إلى منطقة رانية وقبيلة كلاب هجرت نحو الشمال إلى غاية حمى ضرية ».[2]

نرى أنَّ العلاَّمة اكتفى بهذا الدليل الذي قاله أهل الاختصاص في الشعر على أنَّ أقدم الشعراء الذين أخذوا عنهم هم شعراء قبيلة بكر وتغلب من ربيعة وشعراء بني تميم وقيس وغطفان من مضر، فهذا يدل على أنهم يمتلكون الفصاحة، لكن هذه القبائل لم يذكرها الفارابي.

تطرَّق العلاَّمة "**حاج صالح**" إلى تطوُّر رقعة الفصاحة (السليقية) ابتداءً من أقدم (من قصد القصيدة) ، وتعرَّض إلى كل فترة وما ظهر فيها من شعراء، فقسَّم هذا التطوُّر على أربع فترات بدْءًا من العصر الجاهلي إلى ما بعد اختفاء الفصاحة السليقية:

1- أمَّا في **العصر الجاهلي** تصفَّح جميع الشعراء الذين ظهروا في هذه الفترة من القبائل الفصيحة، فاستنتج من ذلك وعلَّق عليها بقوله:« إنَّ جميع ما وصل إلينا من

[1]- السماع اللُّغوي ، ص398.

[2]- السماع اللُّغوي ، ص72.

الشعر من الفترة الأولى هو بالعربية التي نزل بها القرآن وليس من إقليم في شبه الجزيرة في ذلك الزمان الذي امتدَّ من عهد المهلهل إلى ما قرب من زمان الوحي إلاَّ وقد ظهر فيه شاعر وصل إلينا منه شعر باستثناء أطراف الجزيرة مثل جزء من الشام حيث وجدت بعض القبائل لم تحظ بذلك كقبيلة بهراء أما جذام وتنوخ ولخم وغسَّان وبليَّ وخولان وغيرها فقد ذكروا لكل واحدة منها شاعرًا أو شعراء رَوى شعرهم العلماء. فقد أخذ اللغويون من جميع القبائل وبذلك يسقط ما ادعاه الفارابي من عدم أخذهم من هؤلاء ومن بكر وتغلب وثقيف وغيرها » [1].

لاحظ أنَّ الشعر الذي ظهر في هذه الفترة من الجاهلية كاد يغطّي شبه الجزيرة العربية بأكملها، وليس من إقليم في الجزيرة في تلك الفترة التي امتدَّت من عهد المهلهل إلى زمان الوحي إلاَّ وظهر فيها شاعرًا من كل قبيلة باستثناء بهراء وأنَّ اللغويين قد ذكروا شعراء قبائل كجذام وتنوخ وغسَّان وخولان وبكر وثقيف وغيرها ، وأخذوا منهم خلافًا لما ادَّعاه الفارابي.

– وقد وقف **العلاَّمة** على جميع شعراء القبائل في العصر الجاهلي نذكر منهم:

« ومن شعراء تغلب: الأخنس بن شهاب وأفنونا لتَّغلبي وبشر بن سوادة وجابر بن حنيَّ والسفاح التغلبي وشبيب بن جعيْل وعبد هند بن زيد وعمرو بن كلثوم وعمير بن جعيل وأبو اللَّحام والمهلهل بن ربيعة » [2].

هذا فيما يخصُّ شعراء تغلب الذين ظهروا في العصر الجاهلي.

2– والفترة الثانية ، يقول العلاَّمة :« تمتدُّ من نهاية الجاهلية وظهور الإسلام وزمان المخضرمين فليس هناك تغير كبير للوضع اللغوي على الرغم من تمصير الأمصار

[1]– السماع اللُّغوي ، ص131.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص80.

الجديدة ونزول من كل القبائل فيها ووصل إلينا من تلك الفترة أيضا شعر يغطي كل الجزيرة تقريبا » [1].

لاحظ العلاَّمة أيضًا أنَّ الفترة الثانية بقيت على ما يرام حيث كان الشعر في تلك الفترة يغطّي الجزيرة ولم يحدث أيُّ تغيُّر للوضع اللغوي بالرغم من تمصير الأمصار الجديدة . ومن شعراء هذه الفترة نذكر:« ومن شعراء ثقيف: أمية بن أبي الصَّلت(5ه=626م) الحارث بن كلدة وربيعة بن أمية بن أبي الصَّلت وأبو عبيدة الثقفي وعمرو بن مسعود الثقفي وغيلان بن سلمة(23ه= ومسلم بن يزيد .) »[2].

3- الفترة الثالثة تتمثل في **العهد الأموي**: ويقول العلاَّمة:« وفيها تولى الحكم الأمويون وتلاهم العباسيون وهي فترة حصل فيها تغيير واسع للخارطة القبيلة إلا أن ذلك لم يؤثر في الحين في الوضع اللغوي فقد بقي سكان الكوفة والبصرة ومكة والمدينة على فصاحتهم السليقية طيلة العهد الأموي بدليل كثرة من استشهد بشعرهم من أهل الحضر في هذه الفترة وقد يكون من بين هؤلاء الفصحاء من الموالي والعجم و يستشهد بشعرهم لأنهم نشأوا وترعرعوا في بيئة فصيحة وهذا المعتبر عند اللغويين » [3].

لاحظ العلاَّمة أنَّ هذه الفترة تَغيَّرت فيها خارطة للقبائل، لكن لم يؤثر ذلك على الوضع اللغوي بحيث إنَّ سكان البصرة والكوفة بقوا على فصاحتهم السليقية طيلة العهد الأموي؛ لأنَّ هناك من استشهد من أهل الحضر ومن بينهم فصحاء الموالي والعجم الذين نشأوا في بيئة فصيحة.

ويقول العلاَّمة :« إنَّ هؤلاء الذين استشهد بكلامهم في اللغة والنحو فقد نشأوا أو عاشوا في بلاد العجم ! مثل خرسان فقد انتقل إلى فارس العدد الكبير من بكر وتميم وغيرهم وأنشأوا بعد الفتح جالية كبيرة وحافظوا بذلك بكثرتهم وتماسكهم على بيئة لغوية مؤقتة

[1]- السماع اللُّغوي ، ص132.

[2]- السماع اللُّغوي ، ص100.

[3]- السماع اللغوي ، ص132.

وكان في هذه البيئة زياد الأعجم وهو فارسي الأصل واستشهد بشعره سيبويه وغيره. ونذكر أيضا والي اصطخر حُصين بن المنذر الرقاشي وكعب بن معدان الأشقري..»[1].

نلحظ من قول العلاَّمة أنَّ في هذه الفترة من العصر الأموي وُجد شعراء أعاجم نشأوا في بلاد خرسان وغيرها قد استشهد العلماء بشعرهم أمثال: زياد الأعجم وهو فارسي الأصل .

هذا فيما يخُصُّ القسم الأول من العصر الأموي، أمَّا القسم الثاني فيقول العلاَّمة:« أما بعد وفاة سيبويه فقد ظهرت ظاهرة عدوى اللحن وأُصيب بهذه العدوى كل من كان منشأه اللغوي العربية وعمَّ ذلك كل التجمُّعات الحضرية وقل في هذا الزمان من صار يوثقُ بعربيته، فما دخل القرن الثالث على الناس حتى اختفت الفصاحة السليقية في الحضر باختفاء البيئات اللغوية الفصيحة فيها » [2].

يرى العلاَّمة أنَّ بعد وفاة سيبويه في تلك الفترة بدأ اللحن الذي أسماه "بالعدوى" ينتشر على جميع التجمُّعات الحضرية، واختفت الفصاحة السليقية منهم تمامًا. ويقصد هنا أهل الحضر فقط.

4- وأمَّا الفترة الأخيرة **من عصور السماع:** من183ه إلى 392ه:

يقول العلاَّمة : « أمَّا خاتمة المطاف بالنسبة للفصاحة السليقية فتبتدئ في القرن الرابع بالنسبة إلى البوادي أيضًا وقد شهد بعض اللغويين ما بقي من هذه الفصاحة أي من البيئات الفصيحة » [3].

لاحظ أنَّ هذه الفترة من القرن الرابع قد اختفت فيها الفصاحة السليقية من البوادي وزوال البيئات الفصيحة ، وذلك بشهادة بعض اللغويين الذين نزلوا إلى البوادي واكتشفوا ذلك بأنَّ قلَّما وجدوا فصحاء أخذوا عنهم.

---

[1]- السماع اللُّغوي ، ص123.

[2]- السماع اللُّغوي ، ص124.

[3]- السماع اللُّغوي ، ص132.

لقد أشار **العلاَّمة" حاج صالح**" بعد مفهوم الفصاحة وضبط مقاييسها إلى ثلاثة حقائق يجب الانتباه إليها:

1): لم تكن الفصاحة مقصورة في القرنين الأول والثاني على أهل البدو:

نوَّه بأنَّ الفصاحة ليست مقتصرة على أهل البدو فقط في القرنين الأول والثاني بل كان أكثرهم في الحواضر؛ لأنَّ رقعة الفصاحة لازالت منتشرة إلى القرن الثاني في الحضر، بحيث هناك من ترعرع في الكوفة والموصل واُستشهد بكلامهم من شعراء وخطباء، ومن أمثلة ذلك كثير كالأخطل الذي ولد في الحيرة، وأبو الطفيل الكناني الذي عاش بالكوفة وغيرهم كثير، ومنهم من لم يرقط البادية بل قد وُجد من عاش في العجم واُستشهد بشعرهم وكلامهم نحو أبي الهندي الرياحي الذي عاش في خرسان.[1]

2): لم تكن الفصاحة مقصورة على القدامى من العرب :

يرى أنَّ الفصاحة ليست معنية بالقدامى من العرب فقط بل على مدن الحضر أيضًا حيث إنَّ أكثر عرب المدن بقوا على فصاحتهم، وهناك من استشهد العلماء بكلام أهل الحضر حتى نهاية النصف الأول من القرن الثاني، لأنَّ المعيار الوحيد الذي اعتمده العلماء هو بقاء الملكة اللغوية العفوية عند العرب لذلك يوجد من أُخذ عنه اللغة وهو من أهل الحضر. [2]

– وقد وقف العلاَّمة على قول الجاحظ: «حدَّثني الأصمعي قال: جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعتُه يحتجُّ ببيت إسلامي.» [3]

إنَّه لم يوافق هذا القول وتحدَّاه، وقد ذكر عددًا من الأبيات لشعراء إسلاميين رواها أبو عمرو نفسه واستشهد بها، ويرى أنَّ أبا عمرو لم يقل مثل هذا الذي رواه

[1]– ينظر: السماع اللُّغوي ، ص69.

[2]– ينظر: السماع اللُّغوي ، ص70.

[3]– الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 ، ص321.

الجاحظ أو غيره من العلماء قبله. وقال بأنَّ كلّ الخرافات والحكايات التي حيكت حول استهتار أبي عمرو وخلف بالقديم أكثرها ذكرها صاحب الأغاني. [1]

3): لم تكن الفصاحة مقصورة على العرب الأقحاح :

يرى أنَّ هناك من المحدثين من يقول أنَّ معيار الفصاحة عنصريًا ، لأنَّ العربية لا يمتلكُها إلاَّ العربي القح، وأنَّ الأعجميَّ الأصل لا يمكنه أنْ يبلُغ ما بلغهُ العربي الأصيل من القدرة على التعبير الفصيح، فهذا وهمٌ خطيرٌ جدًا برأي العلاَّمة الحاج صالح لانتشاره في جميع أوساط الباحثين، ويرُدُّ عليهم بأنَّ معيار الفصاحة ليس عنصريًا ،لأنَّ هناك شعراء كانوا من أصل غير عربي واستَشهد بشعرهم كلَّ العلماء لأنَّهم اكتسبوا الفصاحة السليقية في صباهم من بيئة عربية فصيحة أمثال ذلك: المنتجع بن نبهان وهو سندي الأصل سبي صغيرًا وكبر في وسط فصيح من بني تميم.[2]

3-: المقاييس الصورية اللسانية للفصاحة :

لقد تعرَّض **العلاَّمة حاج صالح** إلى المقاييس الصورية اللسانية التي وضعها علماء اللغة والتي تبين لهم الفصيح من غير الفصيح من العرب.

يقول:« فالحكم على فصاحة فرد أو أفراد من العرب في ذلك الزمان بتحديد مكان نشأتهم يلزم منه أن يثبت أن أهل هذا المكان كلهم فصحاء ولا يتم ذلك إلاَّ بالاعتماد على مقاييس لغوية محضة »[3].

فهو يرى أنَّ تحديد فصاحة العربي في ذلك الزمان يرجع إلى تحديد فصاحة مكان نشأته فيقتضي ذلك على الاعتماد المتحري على مقاييس أو أصول لغوية التي تساعده على إيجاد الفصحاء.

---

[1]- ينظر: السماع اللُّغوي ، ص70.

[2]- ينظر: السماع اللُّغوي ، ص71.

[3]- السماع اللُّغوي ، ص136.

وقد جاء العلامة بنص **للجاحظ:**« وأصحابُ هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منَّا "مُكرةٌ أخَاك لابطل" و" إذا عزَّ أخَاك فُهنْ " ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: ذهبتُ إلى أبو زيد ورأيتُ أبي عمرو، ومتى وجد النحويُّون أعرابيًا يفهم هذا وأشباهه بهْرَجُوه ولم يسمعوا منه لأنَّ ذلك يدُلُّ على طول إقامته في الدَّار التي تُفسد اللُّغة وتنقص البيان، لأنَّ تلك اللُّغة إنَّما انقادت واستوت واطَّردت وتكاملت، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة » [1].

استنتج من قول الجاحظ أنَّه « قد لاحظ بدقته المعروفة أنَّ الأعرابي الذي يستطيع أن يفهم الكلام الملحون الذي ينطق به المولدون- في زمان التحريات اللغوية- وخاصة هذا الذي استأنس بكلامهم، فهذا يتركه النحويون ولا يأخذون عنه أبدًا ويستدلون بذلك على طول إقامته في المدن التي نشأ فيها اللحن »[2].

إنَّ هذه العبارات برأي العلاَّمة خطيرة اللحن ويرى أنَّها الميزة التي تحكم على فصاحة من العرب، وأنَّها من الشروط الضرورية لصحة الفصاحة ، ويدل هذا على أنَّ السلامة اللغوية في أبسط صورها هي أهم ميزة، حيث تُقاس هذه العبارات على العربي فإنْ لم ينفُر منها يُبَهْرجْ ولم يُسْمَعْ منه. [3]

نلاحظ أنَّ هذه العبارات التي ذكرها الجاحظ هي ألفاظ غير مستعملة عند الفصحاء وإنَّما هي من كلام المولدين ، ولذلك كل من وُجد يُنطق بها أو فهمها يُبهْرجُوه ولم يأخُذوا عنه.

أمَّا المقاييس اللغوية الأخرى التي استنبطها العلماء أنفسهم من خلال كلام العرب فقد تناول العلاَّمة أهم العلماء الذين ابتدعوا أصولاً للتفريق بين العربي والمولد من المفردات. يقول **العلاَّمة عن الخليل بن أحمد:** « وقد اكتشف أيضًا بعض الثوابت في

---

[1]– الجاحظ: البيان والتبيين ، ج1 ، 163/162.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص137.

[3]– ينظر: السماع اللُّغوي ، ص137.

تركيب حروف الكلم كان يمكن أن تستغلَّ في التمييز بين ما هو عربي وما هو مولّد من المفردات »[1].

وقد جاء بنص الخليل، حيث يقول **الخليل:**« فإن ورَدَتْ عليك كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة مُعرَّاة من حروف الذَّلق والشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حروف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثة مُبتَدَعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجدًا من سمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعيَة أو خماسيَّة إلاَّ وفيها من حروف الذَّلْق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر. قال الليثُ:قلتُ فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف؟ فقال: نحو الكَشَعْثج والخَضَعْثَج والكَشَعْطج وأشباههنَّ، فهذه مولّدات لا تجوز في كلام العرب... فلا تقبلَنَّ منها شيئا وإن أشبهَ لفظهم وتأليفهم، فإن النحارير منهم ربَّما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب... أما البناءُ الرُّباعيُّ المنبسطُ فإنَّ الجمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذَّلق أومن بعضها، إلاَّ كلمات نحو من عشر كنَّ شواذًّ ومن الكلمات: العَسْجَدُ و القَسْطوس و القُداحسُ و الدُّعشوقةُ و الهدْعةُ و الزُّهْزُقَةُ » [2].

يقول العلاَّمة" **حاج صالح** " « فهذه جملة من المقاييس كان يرجع إليها المتحري منذ عهد الخليل وهو قديم جدًّا وأمَّا ما تجمَّع لديهم من الأصول أو الحدود فكان يكوّن في الواقع "شبكة من المعايير" منذ أن بدؤوا في تدوين اللغة وكانت في الأول أصولا عامة مطردة استخرجوها من نظرهم في النص القرآني (المزامن لعمليات النقط الشاملة لهذا النص الكريم) ثم لاحظوا التوافق التام بين هذه الأصول وما سمعوه من كلام العرب فتوسعوا في سماعهم وتحليلاتهم لهذا الكلام وبذلك استطاعوا من أول لحظة من

[1]– السماع اللُّغوي ، ص142 .

[2]– الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، ج1 ، ص38/37.

بداية تحرياتهم وسماعهم أن يميزوا بسهولة في أغلب الأحيان بين الموثوق بعربيته وغير الموثوق »[1].

يرى أنَّ علماء اللغة قد استندوا على مجموعة من الأصول والمقاييس اللغوية التي اُستُنبطت من كلام العرب وأصول عامة مطردة استخرجوها من نظرهم في النص القرآني وبهذه المقاييس استطاعوا من خلالها التمييز بين الموثوق بعربيته وغير الموثوق من هؤلاء العرب.

ثانيا- أوصاف المتحري:

لقد تطرَّق **العلاَّمة** إلى أهم الصفات التي يمتاز بها اللغوي المتحري أثناء قيامه بالتحريات اللغوية الميدانية التي يجب أن تكون متمثلة فيه لإنجاح عملية جمع اللغة وهي كالآتي:

- أوَّل ما يَهُمُّ المتحري هو« حرصه على اكتشاف عبارات جديدة ومفردات وتراكيب لم يسمعها من ذي قبل وتجواله الواسع للحصول على نصوص شفاهية متنوعة شعرًا ونثرًا».[2]

إنَّ ما يقوم به اللغوي أثناء تحرياته هو التجوال الواسع والبحث عن نصوص شعرية ونثرية، واكتشاف عبارات وتراكيب التي لم يتطرَّق إليها من قبل.

- أيضًا « ضرورة امتلاك المتحري لذاكرة قوية جدًا »[3]

إنَّ امتلاك اللُّغوي المتحرّي لذاكرة سريعة الفهم والحفظ كان لزامًا وواجبًا عليه لأنَّ الذاكرة القوية حيث تُساعده في أخذ المعلومات إنْ كانت بسيطة أو التي يَصْعُب فهمُها وحفظ الشعر كما هو وبالتالي تنشط حركة الرواية عند اللغوي بحيث يُخزّن

[1]- السماع اللُّغوي ، ص142/143.

[2]- السماع اللُّغوي ، ص361.

[3]- السماع اللُّغوي ، ص361.

معلوماته في ذاكرته ثم يقوم باسترجاعها عندما يقتضي الأمر، لذلك تُعدُّ ضرورة أثناء الأخذ.

وقد« روى عن أبو الهمذاني قال: سمعت الريَّاشي يقول: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة. فقال رجل: منها البيت والبيتان؟ فقال: ومنها المائة والمائتان. وقال إسحق بن إبراهيم الموصلي: عجائب الدنيا معروفة معدودة، منها الأصمعي ».[1]

نلحظ من خلال هذا القول بأنَّ الأصمعي كان يمتلك ذاكرة قوية جدًا وسريعة الحفظ، حتى إلى أنْ وصل به إلى حفظ اثني عشر أرجوزة.

– يجب أنْ تكون له« القدرة على تحمل المشاق الخاصة بالسفر والتنقلات البعيدة ولذلك كان يجب أنْ يتمتَّع بصحة جَيّدَة وامتلاك لجميع قواه الجسدية »[2].

من ضرورات اللغوي المتحري أنْ يمتاز بالصحة الجيدة لقواه البدنية لاستطاعة التنقل والترحال بين القبائل البعيدة المسافات، وتحمل مشقَّات السفر؛ لأنَّ اللغوي عند طوافه على شبه جزيرة العرب يقتضي منه أنْ يقطع كل المسافات ليصل المكان الذي يقصده.

– أنْ يتصف المتحري« بسمعه المُرهف ليتَبيَّن عند سماعه لما لم يعرفه من عناصر اللغة على أي بنية بُنيَت هذه العناصر ولا بد لذلك من التمييز الدقيق بين الأصوات».[3]

من شروط اللغوي هو اعتماده على الإصغاء التام لتمكنه من التمييز بين الحركات والأصوات ومعرفة بنية العناصر اللغوية عند النطق.

– و« أنْ يكون متمكنًا من اللغة وأنْ يكون أقرب ما يمكن ممن يسمع منه وأن تكون له حاسة لغوية قوية » .[4]

---

[1]– السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2 ، ص404.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص"361.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص362.

[4]– السماع اللغوي ، ص362.

ينبغي على المتحري أن تكون له الإمكانية في امتلاك الكفاءة اللغوية التامة وله حاسة لغوية قوية لمعرفة فصاحة المورد.

– أيضًا« أنْ يندمج في الوسط الذي يبحث في لغة أصحابه اندماجًا كاملا لغويا واجتماعيا فيصبح بطول الإقامة كأنه واحد من هؤلاء الذين يسمع منهم وتنشأ بذلك وبتلطفه معهم روابط صداقة وثيقة »[1].

كان على المتحري في ذلك الزمان أن يتكيَّفَ في البيئة التي يقيمُ فيها للبحث عن اللغة، ويكون بذلك مندمجًا لغويًا واجتماعيًا مما يؤدي ذلك إلى روابط حميمية فيما بينهم.

سنورد مثالاً على ذلك :« قال محمد بن المعلي الأزدي في كتاب الترقيص: حدثنا أبو رياش عن الرياشي عن الأصمعي قال: كنت أغشى بيوت الأعراب، أكتب عنهم كثيرًا حتى ألفوني، وعرفوا مُرادي، فأنا يومًا مارٌ بعَذارى البصرة، قالت امرأة: يا أبا سعيد أئت ذلك الشيخ، فإنَّ عنده حديثًا حسنًا ، فأكتبه إنْ شئت » [2].

هذه مجموعة من الأوصاف والشروط التي يقوم بها اللغوي المتحري ويأخُذ بها أثناء تحرياته اللغوية الميدانية لإنجاح عملية جمع اللغة من العرب الفصحاء .

ثالثا– شروط المُورد وأقسامه :

لقد تناول العلاَّمة أقسام و شروط الموردين من الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغويون اللغة الفصيحة.

أ– أقسام المورد :

ينقسم المورد إلى قسمين: مُورد معتمدٌ ومُورد عارضٌ:

[1]– السماع اللُّغوي ، ص363.

[2]– السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج2 ، ص307.

– فأمَّا **مُورد عارض** ، يقول العلاَّمة **حاج صالح** : « ويدخل في هذا الصنف الجمهور من العرب الذين تُرتضى عربيتهم ولا يُجع إلى نفس الأشخاص منهم بكيفية دائمة. وهم الذين كل الذين سُمع منهم ولم تذكر أسماؤهم وكل الذين سيشير إليهم سيبويه وشيوخه وفريق أبي عمرو من اللغويين بقولهم: " أكثر العرب أو عامتهم" أو "ناس من تميم وأسد".. »[1].

نلحظ أنَّ هذا النوع "مورد عارض" هم الذين أُخذت عنهم اللغة وهم فصحاء العرب إلاَّ أنَّ اللغويين الرُّوَّاة كانوا لا يعتمدون إليهم بصفة دائمة حيث يطلقون عليهم اسم العرب أو عامتهم أو ناس تميم ..الخ.

– وأمَّا **مُورد معتمد** ، فيقول العلاَّمة حاج صالح :« مُورد معتمد بالنسبة إلى جماعة من المتحريّ أو إلى واحد منهم فقط. وذلك بحكم العادة واستعداد المورد ثم الثقة المودعة فيه: يُرجع إليه بكيفية دائمة وأقواله حجَّة يُستشهد بها »[2].

يعتبر هذا الصنف "مورد معتمد" مهم جدًا بالنسبة للغوي المتحري ، حيث يعتمد عليه بصفة دائمة ومتتالية ويجعل جميع أقواله حجَّة لاستشهاد بها.

لقد ذكر أقدم المعتمدين الذين عاشوا في زمان أبي عمرو وفريقه نذكر منهم: « أبو مَهدي أو مهدية الباهلي ، منتجع أو المنتجع بن نبهان العدوي، أبو البيداء الرياحي أبو خيرة ويسميه أبو عبيدة: أفار بن لقيط العدوي، درواس ، الصقيل العقيلي أبو ثَروان العُكلي محمد بن عبد الملك الفَقعَسي الأسدي الكلابي »[3].

ب– شروط المورد :

لقد وضع علماء اللغة أوصافًا وشروطًا للموردين الفصحاء العرب وهي:

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص365.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص365.

[3]– ينظر: السماع اللُّغوي ، ص369/366.

– آثر اللغويون« أنْ تكون فصاحة المورد هي الصفة الأساسية » [1] التي يمتلكها.

إنَّ أول شرط وضعه العلماء على المورد هو الفصاحة، بحيث لا تُأخذ اللغة إلاَّ عن أعراب يتميزون بالفصاحة . يقول **ابن جني:**« وقد كان طرأ علينا أحد من يدَّعي الفصاحة البدوية، ويتباعد عن الضَعْفة الحضرية، فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له »[2].

– كما آثر علماء اللغة« أن يكون المورد واسع المعرفة بكلام العرب وألفاظهم وعباراتهم وأمثالهم حافظا لشيء إن أمكن ولهذا يجب أن يكون طلق اللسان لا يضن بما يعرف»[3].

اُشترط في المورد أن يكون عالمًا بكلام العرب حافظًا لأشعارهم ولو بشيء قليل وأنْ يكون طليق اللسان أيضا لفهمه ألفاظه وعباراته .

– أيضًا « السنُّ والجنس فليس هناك أي فرق بين الموردين الذين سمع منهم اللغويون بالفعل، فقد سمع الأصمعي من الأطفال وكتب كلامهم كما سمع من الكثير من الأعرابيات وغيرهن من الفصحاء »[4].

نلحظ أنَّ المتحري غير مرتبط من ناحية سن وجنس المورد، إذ كان يأخُذ اللغة من الصبي والشيخ والنساء ، نستند بقول ابن فارس يقول بهذا الصدد:« تُؤْخَذ اللُّغةُ اعتيادًا كالصبيّ العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو تأخذ اللُّغة عنهم على ممر الأوقات. وتؤخذ تلقُّنا من ملقَّن »[5]. ويقول السيوطي: « وكذلك لا يشترطوا في العربيّ الذي يُحتجُّ بقوله البلوغ، فأخذوا عن الصبيان »[6].

نستخلص جملة ما سبق ، إنَّ قيام العلماء بجمع اللغة كانت بوضع شروط وضوابط لتحديد اللغة الفصيحة عند العرب، فأمَّا المقاييس التي وضعوها تكمن في

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص363.

[2]– ابن جني : الخصائص ، ج2 ، ص5.

[3]– السماع اللُّغوي ، 364.

[4]– السماع اللُّغوي ، ص364.

[5]– ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ص62.

[6]– السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج1 ، ص140.

الفصاحة كونها المعيار الوحيد للأخذ بها، ثم مقاييسها اللغوية والمكانية والزمانية والصورية ؛ حيث اشترطوا العربي الفصيح الذي تؤخذ عنه اللغة هو الناطق الذي اكتسب ملكته اللغوية من بيئته الفصيحة السليقية أثناء نشأته بدون تلقين ، وحدَّدُوا الفترات الزمانية للفصاحة قبل عصر الإسلام إلى اختفاء الفصاحة السليقية في أواخر القرن الرابع الهجري، وقسَّموا القبائل إلى بدو وحضر ، فأخذوا من البادية في وسط جزيرة العرب وتركوا القبائل على تَحُدُّ بلاد الأعاجم خوفًا من اللحن وهذا ما بيَّنه الفارابي في نصّه، وقد رأينا موقف **العلاَّمة حاج صالح** من ذلك وبيَّن رأيه المعارض بأنَّ يوجد بعض المحدثين لم يفهموا كيف تُذكر قبائل بكر وغيرها لأنَّ العلماء قد استشهدوا بشواهد تنسب إلى شاعر واحد على الأقل ينتمي إلى تلك القبائل وأنَّ هناك شعراء أعاجم سمع منهم العلماء كلامهم خلافًا ما قاله الفارابي. وقد رأينا أنَّ هناك علماء وضعوا أصولاً لمعرفة الفصيح من الألفاظ والمولد عند العرب للتفريق بين الموثوق بعربيته وغير الموثوق. وأمَّا الشروط تتمثَّل في أوصاف المتحري كونه أن يمتلك ذاكرة قوية جدًا ويتميز بسماعه المرهف لفهم عناصر اللغة وله القدرة على تحمل المشاق في السفر ، وشروط المورد هي الفصاحة والتي تعتبر شرطه الأساسي فيه، وأن يكون واسع المعرفة بكلام العرب .

المبحث الثاني : منهجية التحري

أولاً : السماع الموسّع :

لقد لاحظ **العلاَّمة** أنَّ هناك بعض المحدثين يرون أنَّ العلماء القدامى قد قصَّروا في استقرائهم للشواهد اللغوية، وكان استقرائهم لها ناقصًا، يقول: « وقد أدَّاهم ذلك إلى ظلم علمائنا القدامى بمثل هذه الأقوال المجحفة: أن يكون بنى النحاة العرب قواعدهم على المثال الواحد أو المثالين فكان استقرائهم لكلام العرب بالضرورة ناقصا»[1].

لم يوافق العلاَّمة هذا الرأي كقول ابن حزم وغيره، كان ردُّه على ذلك أنَّ كل من يدعي بهذا القول هو ظلم وإجحاف واعتقاد خاطئ ، ويرى أنَّه لا يمكن أن يكون سماع العلماء ناقصًا ، وكتاب سيبويه أكبر دليل على اتساع المادة اللغوية، وقد ذكر العلاَّمة نماذج تدل على ذلك في كتاب سيبويه نذكر منها: « هذا كله سمع من كلام العرب »[2].

– يقول **العلاَّمة** :« أنَّ مسموعه يتكون مما سمعه هو وهو كثير وما رواه عن شيوخه وهو أيضا كثير... ثم عرفنا أنَّ هذا المسموع واسع جدًا من حيث المساحة التي غطَّاها سماعهم وذو حجم كبير جدًا نظرًا لا لكثرة الشواهد بل لكثرة ما سمعوه بالفعل من الكلام ولا سيَّما كثرة من أخذوا منهم فهذا هو المهم لأنَّ الذي سمعوه يدل على كثرته المهولة في هذه المساحة العظيمة التي تجوَّلوا فيها من رقعة الفصاحة ابتداء من زمان أبي عمرو بن العلاء وهذا عدد خارق للعادة ممن سمعوا عنهم »[3].

يرى أنَّ سماع سيبويه وشيوخه من قبله كان سماعًا واسعًا ومكثفًا نظرا لاتساع المساحات التي تجوَّلوا فيها وكثرة ما سمعُوه من فصحاء العرب ابتداءً من عهد أبي

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص317.

[2]– سيبويه : الكتاب ، ج1 ، ص147.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص321.

عمرو حيث شَمل جميع قبائل الجزيرة العربية وكان سماعهم واسعًا عكس ما يعتقده بعض الباحثين.

لقد تحدَّث العلاَّمة **حاج صالح** عن الرُّواة واللغويين وتجوالهم الواسع في الميدان وسماعهم من الأعراب الفصحاء، وكيفية وهدف هذا السماع ، فيرى أنَّ السماع عند الرُّوَّاة كان يختلف هدفه من لغوي إلى لغوي آخر، إذ يكمن غرض المتحري إمَّا في جمع شعرًا أو يرمي إلى جمع كلامًا في مختلف المستويات: مخاطبات عفوية وخطب معينة أو نثر يتخلله آيات من القرآن وشعر وأمثال وحكم، ثم يتوجَّه اللغوي المتحري في تحرياته إلى جانب أو أكثر من جوانب اللغة لتأكد من وجود صيغة أو تركيب معين في الاستعمال أو يريد أن يتعرف على كثرة الاستعمال الناطقين لعبارة أو صيغة معينة في بعض القبائل.[1] مثال ذلك : « عن أبي زيد قال: طُفتُ في عُلْيا وقيس وتميم مدَّة طويلة أسألُ عن هذا الباب صغيرَهم وكبيرهم؛ لأعرف ما كان منه بالضم أوْلى وما كان بالكسرة أوْلى، فلم أجد لذلك مقياسًا وإنَّما يتكلم كلُّ امرئ منهم على ما يَستَحْسن ويستخفُّ لا على غير ذلك »[2].

وتطرَّق إلى هذا القول وعلَّق عليه بقوله: « وهذا السماع قام به أبو زيد الأنصاري هو سماع تكميلي وتحقيقي إذ يهدف إلى التأكد من شيء لم يتم الكشف عنه فيما سبق من التحريات مما يدخل في السماع الشامل الواسع »[3].

نلاحظ من قول العلاَّمة أنَّ أبا زيد الأنصاري اتبع طريقة خاصة في السماع وهو سماع تكميلي وتحقيقي ، إذ يهدف إلى البحث عن تأكد من شيء لم يكتشف عنها بعد واعتبر هذا السماع سماعًا واسعًا .

---

[1]– ينظر: السماع اللُّغوي ، ص371.

[2]– السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 208/207.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص372.

وذهب إلى أنَّ السماع عند اللغويين ينقسم إلى نوعين هما: سماع سلبي وسماع نشيط.

1- السماع بدون تدخل المتحري(إلاَّ القليل) أو الاستلغاء:

- يقول **العلاَّمة:** « وكثيرا ما يحصل هذا السماع بالمصادفة فيكون المسموع تلقائيا وأكثر عفوية من السماع الذي يثيره اللغوي بأسئلته ».[1]

اعتبر هذا النوع من السماع هو سلبي بمعنى يكون عفوي تلقائي بدون تدخل المتحري ومن غير وضع أسئلة على المورد فيحصل على نصوص عفوية عشوائية.

- ويقول **العلاَّمة** :« فقد يمرُّ المتحري على شخصين يخاطب أحدهما الأخر في ظرف من ظروف الحياة اليومية أو رجل أو امرأة وهما في حديث منفرد أو يخطب على منبر فيسارع بكتابة ما سمعه من الكلام »[2].

نلاحظ من قول العلاَّمة أن المتحري عندما يسمع كلامًا تلقائيًا من شخصين يتحاوران أو يصفان شيئًا أو يسمع خطبة رجل على المنبر أو حديث امرأة فيلجأ المتحري إلى تدوينه مباشرة. وقد ذكر لنا العلاَّمة أمثلة على ذلك من كتاب سيبويه:

« ومن يقول من العرب " ما جاءت حاجتُكَ" »[3] وقال : « زعم الخليل- رحمه الله- أنَّهم يقولون: مُطرْنَا الزَّرْع والضَّرْعَ »[4].

إذن هذه من أمثلة كلام العرب والتي تستعملها كثيرًا.

---

[1]- السماع اللغوي ، ص379.

[2]- السماع اللُّغوي ، ص379.

[3]- سيبويه : الكتاب ، ج1 ، ص51.

[4]- سيبويه: المصدر نفسه، ج1، ص159.

2- السماع النشيط :

2-1 الإثارة الإيحائية(التلقين) :

تحدَّث العلاَّمة **حاج صالح** عن هذا النوع فيعتبره الطريقة الأولى التي « يبادر اللغوي باستنطاقه المورد وحثّه على الكلام، وإنشاد الشعر أو كلاهُما معا من جهة وحمله على التطرق لموضوع معيَّن لإجراء حديث معه في حدود هذا الموضوع الذي يهم اللغوي»[1].

يختلف هذا النوع من السماع عن الآخر من خلال الإثارة بحيث إنَّ المتحري يقوم بإثارة المورد بأسئلة حتى يستنطقه ثم يتطرَّق إلى موضوع معين .مثال ذلك:

- جاء في **المزهر للسيوطي:**« قال القالي في أماليه: حدَّثنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: لقيت أعرابيًا بمكة، فقلت: ممَّنْ أنت؟ قال: أسدى، قلت: ومن أيُّهم؟قال: نمرى، قلت:من أي البلاد؟ قال:من عمان قلت: فأنَّى لك هذه الفصاحة؟ قال: إنَّا سكنَّا أرضا لا نَسمَعُ فيها ناجخة التَّيار،قلت: صفْ لي أرضَك، قال: سيفٌ أفيَح، وفضاء ضَحْضَحْ، وجبل صَرْدَحْ، ورمل أصْبَح قلت: فما مالُك؟ قال: النخلُ، قلتُ: فأين أنت عن الإبل؟، قال: إنَّ النَّخل حمْلُها غذاء وسَعفها ضياء وجذعها بناء ، وكربها صلاء، وليفها رشاء، وخوصها وعاء، وقرؤُها إناء».[2]

تبيَّن لنا من خلال هذا القول طريقة أبو عمرو في إلقاء أسئلته على المورد لإثارته نحو "أنَّى لك هذه الفصاحة".

- وجاء في الأمالي للقالي :« حدَّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه، عن أبي عمرو بن العلاء،قال: رأيت باليمن غلامًا من جَرْم يُنشدُ عنزًا فقلتُ: صفها ياغلام، قال: حسراء مقبلة، شعراء مُدبرة، مابين غثرة الدُّهسة وقُنُوء الدُّبسة

[1]- السماع اللُّغوي ، ص381.

[2]- السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1 ، ص154/153.

سجحاء الخدَّين، خطلاء الأُذنين، فسقاء الصُّورين، كأنَّ رنمَتَيْها تتلوا قُلسية يا لها أمَّ عيال وثمَال مال »[1].

لقد وقف العلاَّمة على هذين المثالين ولاحظ « أنَّ في كل مشهد من هذه المشاهد يكون المورد قد أغراه المتحري أيَّما إغراء ليطلق لسانه: فقول أبي عمرو للأسدي: أنَّ لك هذه الفصاحة؟ هو نوع من الثناء ثم كذلك هو الاهتمام الذي أبداه إزاء العنز المفقودة فلعلَّ عنده علم بمكان وجودها، فينطلق بذلك لسان الغلام »[2].

يرى أنَّ أبا عمرو بن العلاء اتبع هذه الطريقة بنطق هذه العبارات من أجل استنطاق المورد ويسمع منه كل ما ينطق به مثلما فعل مع الغلام ليصف له عنزه المفقودة.

2-2 السؤال المباشر في استعمال اللغة :

إنَّ هذا النوع من الأسئلة التي يقوم بها المتحري من خلال طرحه لأسئلة مباشرة في استعمال اللغة على المورد.

- يقول العلاَّمة **حاج صالح** : « يريد أن يحصل على كيفية استعمال المورد لشيء بعينه مباشرة لا من خلال كلامه العفوي(الذي يثيره المتحري) فهو يُلقي عليه سؤالاً مثل " كيف تقول" »[3].

يرى أنَّ هذا النوع من الأسئلة تكون بتدخل المتحري التي يطرحها على المورد لهدف معين على صيغة "كيف تقول". وللسؤال المباشر نوعان هما:

أ- السؤال التخييري :

يقدم المتحري للمورد بين استعمالين محتملين نحو:

---

[1]- القالي : كتاب الأمالي ، ج1، ص45.

[2]- السماع اللُّغوي ، ص383.

[3]- السماع اللُّغوي ، ص383.

« يحكى أنَّ أبا عمرو استضعف فصاحة أبي خيرة لمَّا سأله فقال: كيف تقول : استأصل الله عرقَاتهم، ففتح أبو خيرة التاء، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة لاَن جلدُك ! فليس لأحد أن تقول: كما فسدت لغته في هذا ينبغي أن أتوقف عنها في غير (لما حذرناه) قبل ووصفنا »[1].

نستنتج أنَّ أبا عمرو عند طرحه لهذا السؤال لأبي خيرة هو معرفة مدى صحَّة هذه الكلمة التي بين احتمالين.

ب- السؤال التلقيني أو الإيحائي :

أمَّا السؤال التلقيني فهو « عبارة عن إيحاء أو مجرَّد اختبار ».[2]

نلاحظ من قول العلاَّمة أنَّ المتحري يلجأ أحياناً إلى السؤال الإيحائي لاختبار المورد أو يلمح له بشيء ليتمكن من معرفة أجل اختبار فصاحة الأعرابي .

- جاء في **الخصائص** : « قال أبو زيد: قال منتجع: كمء واحدة وكمأة للجميع، وقال أبو خيرة: كمأة واحدة، وكمء للجميع، مثل تمرة وتمر،قال:فمرَّ بهما رؤبة فسألوه فقال: كما قال منتجع، وقال أبو زيد: قد يقال:كمأة وكمء، كما قال أبو خيرة ».[3]

نلاحظ من صيغ هذه الأسئلة التي كان اللغويون يطرحونها على الأعراب، وهي بمنتهى الذكاء وذلك من أجل اختبارهم ومعرفة مدى فصاحتهم .

- أمَّا من ناحية الأماكن التي أُجريت فيها التحريات، فقد تحدَّث **العلاَّمة حاج صالح** عن المناطق الهامة التي أقام فيها العلماء تحرياتهم وأجروا فيها سماعهم الواسع وذكر أهم الرُّوَّاة المتحرُّون لبعض الأماكن اللقاءات الخاصة التي أجروا فيها سماعهم.

ومن بين هذه الأماكن نذكر فيما يلي :

---

[1]- ابن جني : الخصائص ، ج2 ، 13.

[2]- السماع اللُّغوي ، ص"387.

[3]- ابن جني ، الخصائص ، ج3 ، ص"305.

1- المناطق الهامة :

* **السَّروات:**جاء في المزهر للسيوطي :« قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء ألسنًا وأعربهم أهل السَّروات وهن ثلاث، وهي الجبال المطلَّة على تهامة مما يلي اليمن، فأولها هذيل؛ وهي تلي الرمل من تهامة، ثم عليه السراة الوسطى وقد شركَتْهم ثقيف من ناحية منها، ثم سُراة الأزد، أزد شنُؤة وهم بنو حارث بن كعب بن الحرب بن نصر بن الأزد »[1].

* **حمى الرّبذة** : يقول القالي في أماليه: « حدَّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: مررت بحمى الرّبذة فإذا صبيان يتقاسمون ف الماء وشاب جميل الوجه ملوَّحُ الجسم قاعد، فسلَّمت عليه فرد عليَّ السلام وقال: من أين وضح الراكبُ؟ قلت: من الحمىَ، قال: ومتلى عهدُك به؟ قلت: رائجا ، قال: وأينَ مبيتُك؟ قلت: أدنى هذه المشاقر، فألقى على ظهره و تنفَّس الصُّعداء ، فقلت: تفسَّأ حجابُ قلبه ».[2]

* **حمى ضريَّة** : يقول القالي : « حدَّثنا أبو بكر رحمه ! الله قال اخبرني عبد الرحمن عن عمه ، قال كنت مؤاخيا لرجل من أهل حمى ضريَّة، وكان جوادًا رثَّ الحال فمررت به يوما في بعض تردَّدى على الأحياء ».[3]

* **رملة اللوى** : يقول القالي : « وحدَّثنا أبو بكر رحمه، قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: وقف علينا أعرابي ونحن في رملة اللوى .. »[4].

إذن هذه بعض المناطق جميعُها سمع منها العلماء وأجروا فيها تحريّاتهم.

---

[1]- السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج2 ، ص483.

[2]- القالي : كتاب الأمالي ، ج1 ، ص48.

[3]- القالي : المصدر نفسه، ج2 ، ص302.

[4]- القالي : نفسه ، ج1 ، ص140.

وأمَّا عن الأماكن الخاصة فقد أشار **العلاَّمة** بقوله: « كان اللغويون يلتقون بفصحاء العرب للسماع منهم في شتَّى الأماكن وكان اختيار المكان متوقفا أساسًا على وجود المُورد الذي يمكن أن يستفيد منه اللغوي وكان يحدث اللقاء أحيانا بكيفية تلقائية ».[1]

نلاحظ أنَّ علماء اللغة كانوا يلتقون بالأعراب في أماكن خاصة للتحاور وأخذهم للغة وكانت لقاءاتهم بهم على شكل مصادفة، ومن أمثلة على ذلك نذكر.

* **في ظل الخيمة** : قال القالي في أماليه :« حدثنا أبو، قال: حدثنا عبد الرحمن عن عمه، قال: بينما أنا سائر بناحية بلاد عامر، إذ مررت في غائط يطؤهم الطريق وإذا رجل ينشد في ظل خيمة له ».[2]

* **في نادي من النوادي العرب** : جاء في الأمالي للقالي :« حدَّثنا أبو بكر بن دريد قال: حدَّثنا أبو حاتم وعبد الرحمن،عن الأصمعي قال: نزلتُ بقوم من غنيَّ مُجْتورين هم وقبائل من بني عامر بن صَعْصَعة، فحضرت ناديًا لهم وفيهم شيخ لهم طويل الصمت عالم بالشعر وبأيام الناس يجتمع إليه فتيانهم ينشدونه أشعارهم ».[3]

* **المرْبَد** : وقد تحدَّث العلاَّمة **حاج صالح** عن هذا المكان حيث يقول :« وواصل اللغويون السماع في البصرة كما كانوا يفعلون وذكروا مكانا اشتهر أيَّما شهرة بما كان يجري فيه منذ القدم من النشاط الأدبي وهو المرْبَد وكان سوقا للإبل غربي البصرة. ولا شك أن الكثير من اللغويين استغلُّوا وجود الأعراب في هذا المربد للسماع منهم وخاصة بسبب تنوُّع أصولهم القبلية ».[4]

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص359.

[2]– القالي : كتاب الأمالي ، ج1 ، ص121.

[3]– القالي : المصدر نفسه ، ج2 ، ص506.

[4]– السماع اللُّغوي ، ص358/357.

نلاحظ أنَّ المربد هو مكان غرب البصرة كان سوقًا لبيع الإبل بينما كان أيضًا مكانًا تنشُط فيها حركة أدبية من مجالس أدبية وشعرية يتنافسون فيها الشعراء من الأعراب

« فكان إلى جانب هذا-معلم - يأتي إليه من الحضر من يسمع لا رغبة في إرضاء النزوع إلى الغنى، ولا في إلقاء قصائد تتناقلها الرُّوَّاة ولكن لتدور في مسامعه الألفاظ، ويلحظ مخارجها، منهم من يعي ذلك ويحفظه ومنهم من يدونه في ألواحه حرصا عليه كشيء ثمين »[1].

لقد لاحظ العلاَّمة المواضع الجغرافية التي ذكرها اللغويون بأنفسهم وأجروا فيها تحرّياتهم ، وقال بهذا الصدد : « إنَّ عزو اللغويين لما سمعوه هو دائما عزو إلى قبيلة أو بطن أو قرية أو إقليم فيه مجموعة من القبائل . ولا ينحصر هذا العزو كله في ذكر المواضع الجغرافية الخاصة كالقرى أو الجهات معني من البوادي كالرمل والجبل والوادي وغير ذلك كما هو الشأن في الجغرافية اللغوية المعاصرة في البلدان الغربية وسبب ذلك واضح جدا فالنظام الاجتماعي في شبه الجزيرة العربية كان نظاما قبليا محضا حتى في الحضر فالمرجع الموضوعي بالنسبة للغة هو القبيلة أو القرية لا القرى وحدها »[2].

نلاحظ من قول العلاَّمة أنَّ اللغويين سمعوا من جميع المناطق حيث لم يكتف علماء اللغة بالأخذ من القرى فقط بل أخذوا من الأقاليم والبطون وغيرها، إذ شمل نطاق شبه جزيرة العرب، وأنَّ ذكرهم للمكان الذي سمعوا منه يرجع إلى القبيلةأو القرية، لأنَّ النظام الاجتماعي عندهم كان نظاما قبليا فالمرجع الموضوعي بالنسبة للغة

[1]– عبد الحميد الشلقاني : الأعراب والرُّواة ، منشورات المنشأ العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط2 ، طرابلس الجهورية العربية الليبية ، 1982 م ، ص126/127.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص356.

هو القرية أو القبيلة لا القرى وحدها فقط لأنَّ جغرافية اللغة عنهم هي جغرافية قَبلية قرَوية في حد ذاتها.

ثانيًا : طرق السماع والاختيار

اشتهر العلماء الرحالة بتجوالهم الواسع، فكانوا يسمعون كل ما يتفَوَّهون به الأعراب الفصحاء مستفيدين منهم كل الإفادة في تدوين ألفاظهم وأشعارهم وغير ذلك.

مراحل جمع وتدوين اللغة :

لم يتناول العلاَّمة في كتابه مراحل التدوين عند اللغويين بالتفصيل وإنَّما أشار إليها إشارة طفيفة . لقد ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ جمع اللغة وتدوينها قد مرَّت بثلاث مراحل:

* أمَّا المرحلة الأولى « كانت حركة جمع اللغة العربية وتدوينها في بداية عهدها حركة عفوية تفتقر إلى قدر كبير من التنظيم والشمول، وهو أمر طبيعي، كان القصد منه تدوين الألفاظ، وجمع المتناثر منها »[1].

كانت رحلة علماء اللغة إلى البادية في بادئ الأمر تهدف إلى جمع اللغة بقدر كبير وبشكل عشوائي ومتناثر دون تنظيم ولا ترتيب للألفاظ ، بحيث كان اللغويون «يدونون المفردات حيثما اتفق، وكما يتيسر لهم سماعها، فقد يسمعون كلمة في الفرس وأخرى في الغيث وثالثة في الرجل القصير، وهكذا فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب »[2].

نلاحظ أنَّ اللغويين آنذاك كانوا يجمعون اللغة ويُسجّلون كل ما يسمعونه من أفواه الفصحاء من ألفاظ وكلمات في الفرس أو المطر أو وصف رجل لابنه أو غير ذلك. جاء في الأمالي :« حدَّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال:

[1]– عبد اللطيف الصوفي : مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص34.

[2]– أحمد أمين :ضحى الإسلام ، كلمات عربية للترجمة والنشر ،القاهرة ، مصر، (د ت) ، ج1، ص276.

سمعت أعرابيًا يصف خيلاً فقال: سباط الخصائل، ظمَاء المفاصل، شراد الأباجل، قُبُّ الأبَاطل كرَام النَّواجل »[1].

اعتمد العلماء في طريقتهم الأولى من جمعهم للألفاظ على التدوين المتناثر غير المتخصص« لأنَّ الغاية كانت تتجه أولاً إلى الجمع والتدوين دون غيره، خوفًا على العربية من الغريب الدخيل، ومن أبرز كتب هذه المرحلة كتب الغريبين وكتب النوادر ».[2]

تُعدُّ المرحلة الأولى مرحلة الجمع غير المنتظم للألفاظ رهبة من دخول الغريب الدخيل إلى العربية، وكانت هذه المرحلة بدايات تأليف الكتب والمصنَّفات منها كتب الغريب والنوادر.

1- الغريب :

انصبَّ اهتمام العلماء إلى تأليف كتبًا في الغريب، ومعنى الغريب هو « الغامض من الكلام ، وقد كثر التأليف فيه منذ بداية عهد التدوين في سياق تفسير القرآن والحديث، وكان ذلك من بين الدوافع الرئيسية للعناية باللغة العربية، لأنها حفلت بالكثير من الكلمات الغريبة التي استغلق فهمها على فصحاء العرب »[3].

ومن أبرز العلماء الأوائل الذين اهتموا بذلك نجد **عبد الله بن عباس** ، وقد تطرَّق العلاَّمة حاج صالح إلى ذكره ، يقول : « فإنَّهم تناولوا بالدراسة النص القرآني المنطوق واستقراؤهم له أداهم على الفور إلى النزول إلى الميدان والسماع من أفواه هؤلاء الناطقين الذين نزل القرآن بلسانهم. وقد بادروا إلى ذلك من زمان جدّ مبكر فقد

[1]- القالي : كتاب الأمالي ، ج1 ، ص61.

[2]- عبد اللطيف الصوفي : مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص38.

[3]- عبد اللطيف الصوفي : المرجع نفسه ، ص40.

اهتم عبد الله بن عباس ، كما هو معروف، بتفسير بعض الكلمات الكريم باللجوء إلى الشعر »[1].

يرى العلاَّمة أنَّ أول من بادر بدراسة القرآن الكريم وتفسير بعض كلماته الغامضة في زمان مبكر هو عبد الله بن عباس الذي كان يفسّر كلماته باللجوء إلى شعر العرب.

ومن ذلك نلحظ أنَّ ابن عباس أوَّل من كان يشرح للناس غريب الألفاظ في القرآن التي صَعُبَ فهمُها ويَسْتندُ على ذلك بكلام العرب ، وعليه « اشتهر أمر ابن عباس بالتفسير حتى لُقّبَ بالبحر، وينسب إليه أول كتاب فيه، وبتفسير القرآن والعودة بغريبه إلى آثار العرب وأشعارها سبب من أسباب رواية العربية ».[2]

اهتمَّ ابن عباس بالقرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا ، فكان يفسّر كلماته بالرجوع إلى كلام العرب الذي نزل القرآن بلسَانهم ، حتى ظهر له أول كتاب في الغريب« وكان صنيع ابن عباس صنيع معجمي، فهو قد وقف على لغات العرب وأسرارها ودلالات مفرداتها ومعرفة غريبها ونوادرها وعل أشْعار العرب وخطبهم وأمثالهم وأعانه علمه الواسع بالعربية أن يفسر لسائليه كلمات اللغة تفسيرًا لغويًا دقيقًا ».[3]

كان عبد الله ابن عباس في تلك الحقبة قد وقف على لغات العرب حيث « لم يكن يَسْتهْويه الشعر وحده وإنَّما كان يتلمَّسُ الجمال اللغوي أيْنما وجده، فإنْ كان شعرًا وعته حافظته وإن كان نثرًا ثمينا يُشْبع حاسته أمَر بتدوينه ».[4]

– جاء في **البيان والتبيين** : « عن عيسى بن يزيد بن دأب عمَّن حدَّثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال : قال عثمان بن أبي العاص الثقفي لبنيه: (يا بَنىّ ،إنّي قد

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص397.

[2]– عبد الحميد الشلقاني : الأعراب الرُّواة ، ص78.

[3]– أحمد عبد الغفور عطَّار: مقدمة الصحاح ، دار العلم للملايين ، ط4 ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص47.

[4]– عبد الحميد الشلقاني : المرجع نفسه ، ص75.

أمْجَدْتُكُم في أمَّهَاتكُم، وأحسَنتُ في مهنة أموالكُم، وإنّي ما جلستُ في ظل رجل من ثقيف أشْتمُّ عرضَه، والنَّاكحُ مُغْتَرسٌ، فليَنظر امرؤٌ منكم حيثُ يَضع غرسه والعرقُ السَّوءُ قَلَّما يُنجبُ ولو بعد حين) قال:

فقال ابنُ عباس: يا غُلامُ اكتب لنا هذا الحديث ».[1]

هذا القول يدل على إعجاب ابن عباس بجمال ألفاظ كلام العرب النثرية.

ومن العلماء اللغويين الذي ألفوا في الغريب كذلك، حيث« ألَّف أبو زيد كتابا في غريب الأسماء وألَّف الأصمعي أيضًا كتابًا في غريب الحديث والكلام الوحشي »[2].

2- النوادر :

اهتم عدد كبير من العلماء بتأليف الرسائل في النوادر وكان « القصد من تأليف هذا النوع من الكتب تسجيل الألفاظ العربية التي تندر استخدامها، وذلك حفاظا عليها من الفناء مع وفاة عارفيها »[3].

ومن هؤلاء العلماء الذين كتبوا في النوادر نجد أبا زيد الأنصاري الذي « اتسعت ثروته العلمية والأدبية أحسَّ برغبته في ورود مناهل اللغة والأدب عند الأعراب أنفسهم فجمع ألواحه مرة أخرى ومشى يتنقَّل في منازل القبائل المجاورة للبصرة كتب ما عندهم من ألفاظ غريبة ونوادر مجهولة وشعر لم يعرفه أحد من قبل »[4].

اشتهر أبو زيد الأنصاري بكتابه النوادر حيث، « جمع المؤلف في كتابه هذا مجموعة من ألفاظ اللغة الغريبة النادرة داخل نصوص شعرية أو نثرية، شرحها وعلَّق عليها

---

[1]- الجاحظ : البيان والتبيين ، ج2 ، ص67.

[2]- عبد اللطيف الصوفي : مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص47.

[3]- عبد اللطيف الصوفي: المرجع نفسه ، ص47.

[4]- الأنصاري (أبو زيد سعيد بن أوس، ت215ه): كتاب النوادر في اللغة،تح: محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق ط1 ، القاهرة ، 1401ه/ 1981م ، ص9.

واستشهد لها بشواهد وافية من أشعار العرب وأراجيزهم دون التزام نظام معين في الاختيار، أو الشرح التعليق، أو الربط بين المعاني »[1].

لقد جعل أبو زيد كتابه النوادر عبارة عن ألفاظ اللغة العربية النادرة من شعر ونثر ومعلّقًا عليها و مستشهدًا بكلام العرب من شعر وأراجيز وغيره من الكلام.

أمَّا الأصمعي فهو كذلك حيث نجده عالمًا بنوادر العرب ، و« كان الأصمعي يقول: بلغت بالعلم ونلتُ بالمُلح، وقال أبو الفلاح: ونوادره تحتمل مجلَّدات، ولا حاجة بنا هنا إلى الاستشهاد على صحة ذلك، وبحسبنا أنا لا نتصفَّح كتاب أدب حتى نرى فصوله مزدانة بملحه ونوادره، أو مفصلة بشذور أشعاره وأخباره »[2].

هذا فيما يخصُّ المرحلة الأولى في جمع اللغة وتدوينها وما ظهر فيها من رسائل وكتب تتحدَّث عن الغريب والنَّادر من اللُّغة العربية.

* وأمَّا المرحلة الثانية فكان جمعهم وتدوينهم للألفاظ مختلف عن المرحلة الفارطة بحيث أصبح هناك نوع من التنظيم والترتيب في التصنيف للكلمات العربية ووضعها على شكل موضوع واحد ومعين، وقد أشار إلى ذلك **العلاَّمة حاج صالح** بقوله:« أمَّا اللغة فقد واصلوا ما بدأه أبو عمرو من تدوين للمفردات فصنفوها على المعاني أي بحسب ما نسميه اليوم بمجلات المفاهيم وجعلوا دفاتر خاصة لأنواع النبات والحيوان (كتاب النخيل وكتاب الإبل والشاة وكتاب النبات والشجر وغير ذلك)والمياه والدارات وخلق الإنسان وغير ذلك »[3].

ذهب إلى أنَّ اللغويين قد أكملوا ما بدأه شيخهم من تدوين اللغة، إذ عملوا على تصنيف رسائل وكتب ومجلاَّت خاصة بالنبات والحيوان والطبيعة وما حولها.

---

[1]– عبد اللطيف الصوفي : مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص60.

[2]– ضياء الدين المقدسي : المُنتقي من أخبار الأصمعي، ص21.

[3]– السماع اللغوي ، ص340.

اختصَّت هذه المرحلة بجمع ألفاظ اللغة العربية « وكانت هذه الخطوة الثانية أن جمعوا الكلمات الخاصة بموضوع واحد، وأظهر ما كان ذلك في كتب الأصمعي فله كتاب الأنواء، وكتاب الميسر والقداح، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الإبل وكتاب الشاء وهكذا يجمع ماو رد من الألفاظ اللغوية في موضوع واحد »[1].

ومن المواضيع التي كتب عنها العلماء اللغويين سنذكر منها نماذج كالآتي:

- **الإبل والغنم:**

اهتمَّ علماء اللغة بتدوين موضوعات عن الإبل والغنم، فألَّفوا كتُبًّا تخصُّ هذا الموضوع، « فوضعوا كتبهم يتحدَّثون فيها عن أعضائها وأعمارها ونتاجها وأدوائها ونتاجها وأدوائها وفوائدها وما إلى ذلك مما يشعر باهتمام الفائق منها ».[2]

كان العلماء عند تدوينهم لموضوع معين كالإبل مثلاً فيسألون الأعراب عنها عن أعضائها وأعمارها ونتاجها وفوائدها وكل ما يدور حول هذا الموضوع ثم يدوّنون كل دلك في كتب خاصة.

ومن هؤلاء نجد **الأصمعي** كتب عن الإبل، وكانت طريقته في الأسئلة عن أوصاف الإبل في أبواب « ومما يذكر به غزارة الإبل ما يذكر به البكء ومما يذكر من أسماء الإبل ومما يذكر من أدوائها، ومما يذكر من سير الإبل ومما يذكر من ألوان الإبل.. الخ ».[3] وقد ألَّف عن الشاء حيث « أتت على جميع ما يذكر في حمل الشاء وولادتها وصفاتها وحليبها وأمراضها وعيوبها وما يتصل بذلك »[4].

---

[1]– أحمد أمين: ضحى الإسلام ، ج1 ، ص276.

[2]– محمد حسين آل ياسين : الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص198.

[3]– محمد حسين آل ياسين: المرجع نفسه ، ص200.

[4]– محمد حسين آل ياسين: نفسه ، ص202.

- الخيل :

لقد تناول الأصمعي في تدوينه موضوع الخيل « فكان كثير الالتفات إلى الألفاظ التي تطلق على كل حالة من الخيل، وكذا الأفعال والصفات منها »[1].

كان الأصمعي يتَّبعُ نفس الطريقة في التدوين، فكتبَ عن الخيل وكان « يتكلَّم على وقت حملها ونتاجها ثم يتكلم على ولادتها وحال المهور وسن فطامها ثم يتحدث عن بعض صفات الفرس وصفات أعضائها »[2].

نلحظ من خلال هذا أنَّ الأصمعي لمَّا كان يكتب عن موضوع خاص كالخيل أو الشاة أو الإبل يبدأُ تدوينه بالترتيب من يتكلم عن صفاتها وأوصافها وأعضائها ثم عن وقت بلوغها وحملها ونتاجها وولادتها وإلى آخره .

وخير مثال يدل على خبرة الأصمعي بأوصاف الخيل « قصَّة(الفرس) التالية على ما كان بين أبي عبيدة وأبي سعيد من المنافسة والغيظ قال أبو العيناء، قال الأصمعي: دخلتُ أنا وأبو عبيدة على الفضل بن الربيع فقال: يا أصمعي ! كم كتابك في الخيل؟ فقلت جلد؛ قال: فسأل أبا عبيدة فقال : خمسون جادًا قال: فأمر بإحضار الكتابين وإحضار فرس، فقال لأبي عبيدة: اقرأ كتابك حرفًا حرفًا وضع يدك على موضع موضع من الفرس، فقال أبو عبيدة: لستُ بيطارًا، وإنما هذا شيء أخذته وسمعته من العرب، فقال لي: قُم يا أصمعي فضع يدك على موضع موضع من الفرس فوثبتُ فأخذتُ بأُذني الفرس ووضعت يدي على ناصيته، فجعلتُ أقول: هذا اسمه كذا حتى بلغت حافره، فأمر لي بالفرس، فكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبت الفرس واتيته ! »[3].

---

[1]– حسين نصَّار: المعجم العربي نشأته وتطوره ، ج1 ، 140.

[2]– محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص208.

[3]– ضياء الدين المقدسي: المُنتقي من أخبار الأصمعي ، ص16/15.

نلحظ من خلال هذا الحديث « أنَّ الأصمعي اعتمد على معرفة دقيقة بأحوال الخيل وصفات خلقها إلى جانب حفظه للغة في حين لا نتصفح هذه الخصيصة لدى لأبي عبيدة »[1].

كانت لدى الأصمعي خبرةً كبيرةً ومعرفةً واسعةً بأوصاف الخيل وأحْوَاله وما يتعلقُ به، وهذ ليس غريبًا ، لأنَّ العرب تعطي قيمة كبيرة للخيول فكانت تْتميزُ وتهتمُّ وتفتخرُ بها كثيرًا لذلك نجدُ أكثرَ العرب يَعرفُونَها.

*** خلق الإنسان :**

اعتنى اللغويون عناية كبيرة بمواضيع خلق الإنسان فأكثروا التأليف فيها ووضعوا كتبهم حيث« دوَّنوا أسماء ما ظهر تحتها حتى بعض ما في جوفه، وتبيَّنوا الأحوال والصفات المختلفة التي تعتري كل عضو من أعضائه، ووسَّعوا دائرة أبحاثهم إلى النواحي الأخلاقية والاجتماعية أيضًا » [2].

نلحظ أنَّ العلماء لم تقتصر تدوينهم عن الحيوان بل تطورت العناية إلى مجل خلق الإنسان وما يتصف به من صفات وأوصاف خُلقية واجتماعية وغيرها.

ومن هذه المؤلفات نجد« كتاب الأصمعي الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مقدمة لبعض الأمور العامة مثل الحمل والولادة والسن، وعالجها زمنيًا، ثمَّ العَرض وعالج فيه الوصف العام للإنسان ثم فصَّل وصفه جزءًا جزءًا مبتدئًا من أعلاه إلى أسفله ومن خلفه إلى أمامه ... ثم خاتمة في بعض الأوصاف الخُلقية والخَلقية العامة » .[3]

---

[1]– محمد حسين آل ياسين : الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص209.

[2]– حسين نصَّار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1 ، ص105.

[3]– حسين نصَّار : المرجع نفسه ، ج1،ص106.

ومن أمثلة على ذلك جاء في المخصص : « الأصمعي: الشادخُ: الغلام الشَّبُ وهو غير الشدخُ »[1].

نلحظ أنَّ كلام الأصمعي كان عن سن الأولاد من الصغر إلى الكبر إذ نجد معنى الشادخُ هو الغلام الشَّابُ.

* وفي الأخير تأتي **المرحلة الثالثة** فاختصَّت بتأليف المعاجم اللغوية وعلى هذا الأساس نجد **العلاَّمة حاج صالح** قد تحدَّث عن العلماء الذين اهتمُّوا بتصنيف معاجم لغويَّة ومنهم **الخليل بن أحمد الفراهيدي** حيث يقول عنه: « والخليل هو أول من فكَّر في وضع معجم يبني على استفراغ تقاليب الأصول كما هو معروف ولا شكَّ أنَّه بدأ في حشو ما صنعه من هيكل لهذا المعجم »[2].

ذهب العلاَّمة إلى أنَّ الخليل بن أحمد هو أوَّل من ألَّف معجمًا عربيًا وهو معجم العين جمع فيه الألفاظ العربية ورتَّبها ترتيبًا علميًا.

إنَّ ابتكار الخليل لهذا المعجم يعدُّ ابتكارًا جديدًا لأنَّ « لم يجد الخليل فيما بين يديه من رسائل لغوية صغيرة منهجا يبلغه غرضه فاضطرَّ إلى استبعادها والتفكير الطويل في منهج جديد صالح له »[3].

استغلَّ الخليل من جمعه للغة العربية لقيامه منهجًا جديدًا غير منهج العلماء الذين سبقوه بوضع معجمًا لغويًا يصُبُّ فيه الكلمات العربية وضبطها « إذ بناه على تقليب كل الصيغ الأصلية، بحيث تندرج فيه مع كل كلمة الكلمات الأخرى التي تجمع حروفها وتختلف في ترتيبها بتقدم بعض منها على بعض، فكتب مثلا يوضع معها: كبت وتكب

---

[1]– ابن سيدا (أبو الحسن على بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ،ت458ه.) ، المخصص ، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د ت) ، مج1 ، ص37.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص341.

[3]– حسين نصَّار : المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1 ، ص174.

وتبك، وبكت، وبتك، وبذلك حصر في المعجم جميع الكلمات التي يمكن أن تقع في العربي مميزا دائما بين ما استعملته العرب منها وما أهملته ولم تنطق به »[1].

كان ترتيب الخليل للكلمات العربية في معجمه على حسب « مخارج الحروف ومواقعها من الجهاز الصوتي وهو الحلق واللسان والفم والشَّفتان بادئًا بحف العين وبه سماه وهو صنيع يتلقى فيه بصنيع الهنود في ترتيبهم لحروف لغتهم السنكسريتية وربما عرف ذلك بعض نازلتهم في موطنه وهي في معجمه مرتبة على هذا النحو: العين، الحاء الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الضاد، الصاد، السين الزاي، الطاء الدال، التاء، الظاء، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم الياء، الواو الألف»[2].

وقد ظهر معجمًا كبيرًا وهو معجم الصحاح للجوهري، وقد أشار إليه العلاَّمة بقوله: « ففي وسط القرن الرابع رحل الجوهري إلى الحجاز وتجول في وسط القبائل ثم ألَّف بعد سماعه الواسع معجمه المشهور المسمى بالصحاح »[3].

يرى أنَّ الجوهري ذهب إلى قبائل شبه الجزيرة في وسط القرن الرابع وألَمَّ بكلام العرب واستطاع بذلك أنَّ يضع معجمًا وأسماه بمعجم الصحاح.

وعلى ذلك يُعدُّ معجم الصحاح « نموذجًا حسنًا لازدهار حركة التأليف المعجمي خلال القرن الرابع الهجري، ولئن كان همُّ أصحاب المعجمات قبله إحصاء مفردات اللغة وتجميعها كل قدر طاقته وعلمه، مع اهتمام بعضهم بالنادر والغريب، وبعضهم الآخر بالجمهور من كلام العرب فإنَّ الجوهري انحصر في جمع الصحيح منها إذ رأى أنَّ العربية دخلها مع الزمن ما ليس منها بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم إلى درجة

[1]– شوقي ضيف: المدارس النحوية ، ص32/31.

[2]– شوقي ضيف: المرجع نفسه، ص32.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص341.

جعلت الصحيح يشبه بغيره وهكذا كان همُّ الجوهري يتجه نحو جمع ما صحَّ له سماعه من ألفاظ اللغة العربية »[1].

كان هدف الجوهري من جمع ألفاظ اللغة من العرب غير هدف العلماء الذين جاؤوا قبله بحيث كان اهتمامهم ينصبُّ على جمع النَّادر والغريب من الألفاظ بينما نجد الجوهري الذي كان همُّه الوحيد هو جمع الصحيح من ألفاظ اللغة العربية لأنَّ هذه الألفاظ الصحيحة برأيه أصبحت تشبه بغيرها بسبب التأثرات الخارجية .

وفي الأخير نجد ابن سيدا يقر بما أعدَّه لنا أسلافنا من فوائد هذه الكتب يقول:« وتأملتُ ما ألَّفه القدماء في هذه اللسان المُعْربة الفصيحة وصنَّفوه لتقييد هذه اللغة المُتَشبعة الفسيحة فوجَدْتَهم قد أوْرثونا بذلك فيها عُلوما نفيسة جمَّة، وافتقروا لنا منها قلبًا خسيفة غير ذَمَّة ».[2]

[1]– عبد اللطيف الصوفي : مصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص166.

[2]– ابن سيدا: المخصص : مج1 ، ص7

ثالثا: تقنيات الكتابة :

إنَّ اعتماد اللغويون في جمع اللغة كان على وسيلة السماع المباشر، إلاَّ أنَّهم التجئوا كذلك إلى طريق أخرى وهي وسيلة الكتابة حيث إنَّهم كانوا يدَوّنون ما يسمعونه من كلام . لقد تحدَّث العلاَّمة عن تقنيات الكتابة عند علماء اللغة وفصَّل في حديثه عنها .حيث يقول :« السماع كان بالنسبة لهم المصدر المشروع الوحيد في تحرياتهم وتدوينهم كتابيا لهذا المسموع كان لهم عونًا فقط للحفاظ عليه ».[1]

يرى أنَّ السماع عند العلماء يُعتبر المصدر الوحيد في تحرياتهم وأنَّ اعتمادهم على الكتابة كان سندًا لهم للحفاظ على المسموع فقط .

كان العلماء « لا يزالون يتداولون الحفظ إلى أن يكثر عليهم ما يلتمسون حفظه ويعسر فيحوجهم ذلك إلى الفكر فيما يسهّلونه به على أنفسهم فتُستَنْبط الكتابة ».[2]

يقول العلاَّمة:« فمشافهة الفصحاء من العرب تأتي دائمًا في المرتبة الأولى وقد لاحظوا أنَّ هذه المشافهة تساعد على استكشاف الحروف وقد تعجز الكتابة عن تصوير كل أنواع الأصوات »[3].

فهو يرى أنَّ العلماء قد وضعوا السماع في المرتبة الأولى في تحرياتهم، لأنَّ اعتمادهم على التدوين بصفة دائمة قد تُعجّزهم على استكشاف بعض الحروف أو العناصر اللغوية، وهذا ما يؤدي بهم للجوء إلى المشافهة بالدرجة الأولى. تطرَّق العلاَّمة إلى قول الجاحظ حيث يثبت ذلك « ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها.. فأمَّا التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوّره الخط لأنَّه

[1]– السماع اللُّغوي ، 389.

[2]– أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، ص144.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص390.

ليس من الحروف المعروفة، وإنَّما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تُحصى ولا يتوقف عليها»[1].

ليست الكتابة هي المصدر الوحيد عند اللغوي المتحري، لأنَّ الكتابة في بعض الأحيان لا تحقق مُراده بحيث هناك حروف لا يصورها الخط ولا يتمكن من معرفتها ألاَّ من خلال المخارج.

كان في أول الزمان من التحريات نظام النقط الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي ثم ظهر بعد ذلك نظاما آخرا اعتمد عليه بقية العلماء في التدوين، وهذا النظام ابتكره عالم من العلماء القدامى الكبار وقد تحدَّث عنه العلاَّمة فأشار إليه بقوله :« وكُتب للخليل بن أحمد الفراهيدي أن يخترع نظامًا آخر للمصوتات والأصوات الأخرى غير المصوّت، فهو الواضع لما سمي منذ ذلك الوقت ب" شكل الشعر" ... كان أوفق وأكثر وضوحًا. فجعل للضمة واوًا صغيرة فوق الحرف وللفتحة ألفا مبطوحة فوق الحرف وللكسرة ياء مختصرة تحت الحرف وكرر هذه العلامة للتنوين وزاد على ذلك علامة الهمزة وهي ع مختصرة وللتشديد ش مختصرة. وتسمية هذا النظام بهذا الاسم لدليل واضح على أنَّه اختراع لكتابة ما كان يجمعه المتحرون الأولون ومنهم الخليل من الشعر ».[2]

فيرى أنَّ نظام الشعر هو نظام للكتابة اخترعه الخليل بن أحمد وهو وسيلة اعتمدها العلماء المتحرون الأولون لكتابة اللغة التي يجمعونها.

ويقول العلاَّمة : « ولم يكتف الخليل بهذا الاختراع المفيد بل تجاوزه إلى مستوى أعلى من ذلك فقد أحس أنَّ العلامات التي اخترعها لا تصوّر إلاَّ أجناسا من الأصوات أي جنسًا للفتحة وهو ما يسمى بالفونيم فهناك الفتحة الممالة إمالة متوسطة وأخرى شديدة وهناك الفتحة العادية غير الممالة والفتحة المفخمة وغير ذلك. وكل ذلك لا

[1]– الجاحظ: البيان والتبيين ، ج1، 34.

[2]– السماع اللُّغوي ، ص391.

يُصوره الخط ويحتاج اللغوي إلى علامات خاصة لكتابة هذه الأصوات التي هي تنوعات صوتية »[1].

الواضح هو أنَّ الخليل علم قد أظهر براعته في اكتشاف نظامًا آخرًا يسمى التنوعات الصوتية مما ساعد كثير من اللغويين على كتابة الأصوات.

اهتمَّ علماء اللغة بالكتابة والتزموا بها حفاظًا على كل ما سمعوه ، ومن هؤلاء العلماء نجد أبا عمرو بن العلاء الذي « كان حريصًا على الحفظ، كثير المحفوظ حتى أنَّه في مجلسه لم يكن يحدث تلاميذه إلاَّ من ذاكرته ،ومع ذلك فقد كان كثير التدوين »[2] نلحظ أنَّ أبا عمرو كان كثير الحفظ يعتمد على السماع إلاَّ أنَّه كان كثير التدوين أيضًا. ويشير إلى ذلك هذا القول« قد روى عن أبي عبيدة أنَّه قال: عن أبي عمرو أنَّه كانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتًا له إلى قريب من السقف »[3].

أمَّا الأصمعي قيل: « قال الأصمعي: رآني أعرابيّ وأنا أكتب كل ما يقول، فقال ما تدعُ شيئًا إلاَّ نمَصْته، أي نتفته »[4].

نلحظ من خلال هذا القول أنَّ الأصمعي كونه من المهتمين بالكتابة مع أنَّ كان كثير الحفظ أيضًا كما رأينا أنَّه حفظ كثير من القصائد و الأراجيز.

أمَّا أبو عمرو الشيباني فقد « دخل البادية ومعه دستبجان حبرًا فما خرج حتى أفناها بكتب سماعه عن العرب »[5] وهذا دليل على أنَّ أبا عمرو الشيباني كثير التدوين على ما سمعه من العرب .

---

[1]– السماع اللُّغوي ، ص392.

[2]– عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، ص26.

[3]– القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج4 ، ص133.

[4]– السيرافي: أخبار النحويين البصريين ، ص52.

[5]– القفطي: المصدر نفسه، ج1 ، ص259.

هذه بعض الأقوال التي تدل على اهتمام علماء اللغة أثناء التحريات بالكتابة، إذ دوَّنوا كل ما سمعوه من العرب من كلام فصيح ، إلاَّ أنَّ السماع كان بالنسبة لهم يبقى المصدر الأول في تحرياتهم ثمَّ تليه الكتابة باعتبارها عونًا لهم للحفاظ على المسموع.

نستخلص جملة ما سبق، لقد كان سماع اللغويين سماعًا واسعًا شمل جميع مناطق شبه جزيرة العرب، ولاحظنا أنَّ كل لغوي اتبع طريقته الخاصة في السماع ، والسماع كان عندهم ينقسم إلى نوعين سماع استلغائي والذي يراه العلاَّمة سماع سلبي، وهو سماع بدون تدخل المتحري فيه إذ يحصل على معلومات مصادفة وتلقائية من المورد والنوع الثاني هو سماع نشيط ويقوم المتحري باستنطاق المورد ببعض الألفاظ والصيغ على شكل أسئلة .

ذكر العلاَّمة في كتابه أهم الأماكن الهامة والخاصة التي تجول فيها العلماء وأين أجروا تحرياتهم، كرملة اللّوى وحمى الرُّبذة والنوادي وغيرها.

مرَّت مرحلة جمع اللغة وتدوينها بثلاث مراحل: أولاها مرحلة الجمع المتناثر من المادة اللغوية، ودوَّنوا رسائل حول الغريب والنوادر من هذه الألفاظ ،ثم المرحلة الثانية فاهتم فيها علماء اللغة بتدوين مفردات لغوية في موضوعات خاصة ومعينة وجعلوها في شتى المجالات في الحيوان والنبات وخلق الإنسان. أمَّا المرحلة الثالثة اختصت بتصنيف المعاجم اللُّغوية فألَّف الخليل بن أحمد مُعجَمه العين وألَّف الجوهري معجم الصّحاح.

المبحث الثالث: اللغة الوافدة

حينما بدأ علماء اللغة القدامى بجمع المادة اللغوية الفصيحة من أصحابها كان جمعًا علميًا دقيقًا، وكانت الرحلة بينهم وبين الأعراب ذهابًا وإيَّابًا ، حيث رحل اللغويون إلى البادية وألمُّوا بكلام العرب شعرًا ونثرًا، كما آب إليهم الأعراب الفصحاء إلى حواضرهم ليتلقَّنوا عنهم اللغة الفصيحة قرب من مواطنهم.

لقد اختلف الرُّوَّاة واللغويون أثناء تحرياتهم في الأخذ باللغة من الأعراب، حيث تميَّز كل لغوي بأسلوبه عن الآخر في التحري والدقة في الأخذ والجمع، سواء كان هذا اللغوي في الميدان عن أعراب البادية أم سمع من شيوخه الكبار.

يعتقد بعض المحدثين أنَّ هناك اختلاف بين البصرة والكوفة في جمع اللغة واستقرائها سواء من حيث الكم والكيف أم من حيث المكان والزمان أم من حيث القبول والرفض للنصوص.

أولاً: اختبار الأعراب (البصرة):

كان علماء البصرة يأخذون اللغة « ويتحرون في الأخذ: أمَّا العربي فيتحرون فيه سلامة لغته وسليقته، وأمَّ الراوي فالصدق والضبط »[1].

وقد نوَّه على ذلك **ابن فارس**(ت395ه) قال: « فليتحرَّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والصدق والعدالة، فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا ».[2]

نلحظ أنَّ علماء اللغة قد وضعوا شروطا للراوي تكمن في الصدق والعدالة والأمانة كما وضعوا شرط من الذي يُأخذُ عنه ، فذهب علماؤنا إلى الابتعاد عن القبائل التي احتكت بغيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم بسبب مخالطتهم بالعجم كالفرس والقبط وغيرهم، والأخذ إلاَّ من البيئات التي تتميز بالفصاحة السليقية من العرب وتحرّي فيهم

[1]– سعيد الأفغاني: في أصول النحو ، ص198.

[2]– ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ص63.

سلامة لغتهم وبهذا كانوا متشددين جدًا وهذا ليس غريبًا لأنَّ البصرة تحف بها قبائل عربية سليمة السليقة لم تفسد لغتها بمخالطة الأعاجم.

– يقول ابن جني: « علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو علم أنَّ أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض من الفساد للعنصر لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر »[1].

كان منهج البصرة يتميز بالأمانة والدّقة في التحري فقد أخذوا إلاَّ ممن يوثق بعربيته مما أدى بهم ذلك إلى التفاخر على الكوفيين ، جاء في الفهرست: « حدَّثنا أبو سعيد قال: حدَّثنا أبو بكر بن دريد قال: رأيت رجلا في الورَّاقين بالبصرة كتاب المنطق لابن سكيت ويقدم الكوفيين، فقلت للرياشي وكان قاعدًا في الورَّاقين ما قال، فقال: إنَّما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز»[2].

سنورد خير نموذج على الدقة في التحري عند اللغويين نجد أبا عمرو بن العلاء الذي استضعف أبا خيرة « يحكى أنَّ أبا عمرو استضعف فصاحة أبي خيرة لما سأله فقال: كيف تقول استأصل الله عرقاتهم، ففتح أبو خيرة التاء، فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة لان جلدُك ! فليس لأحد أن يقول كما فسدت لغته في هذه ينبغي أن أتوقف عنها في عنها غيره(لما حذرناه) قبل ووصفناه ».[3]

وجاء في الأمالي: « حدَّثنا ابو بكر رحمه الله قال: حدَّثنا عبد الرحمن عن عمه قال: قدم أعرابي البصرة فنزل على قوم من بني العنبر وكان فصيحًا ، فكنَّا نسير إليه فلا نعدم منه فائدة »[4].

---

[1]– ابن جني: الخصائص ، ج2 ص5.

[2]– ابن النديم: الفهرست ، ج2 ، ص64.

[3]– ابن جني : المصدر نفسه ، ج2 ، ص13.

[4]– القالي : الأمالي ، ج1 ، ص121.

وورد أيضًا « حدَّثني أبو بكر بن دريد قال: حدَّثني أبو حاتم ، قال: قلت للأصمعي: أتقول في التهدد: أَبْرق وأَرْعد؟ فقال: لا، لست أقول ذلك إلاَّ أن أرى البرق أو اسمع الرعد، فقلتُ: فقد قال الكميت (مجزوء الكامل):

أبرقْ وأَرْعدْ يا يزيــ د فما وعيدك لي بضائر

[من مادة برق ،ورعد]

فقال: الكميت جرمقانيٌّ من أهل الموصل ليس بحجَّة »[1].

تبيَّن لنا من خلال هذا القول أنَّ الأصمعي شديد الأخذ من الأعراب والشعراء فقد رفض شعر الكميت كونه جرمقاني من أهل الموصل لذلك لم يأخذ بشعره.

– يقول ابن فارس:« وما جعل الله الشعراء معصومين يُوقوْن الخطأَ والغلط، فما صحَّ من شعراءهم فمقبول وما أبته العربية وأصولها فمردود » [2].

مما يلاحظ أنَّ البصريين لا يأخذون اللغة إلاَّ بعد التحقق منها والتأكد من صحَّتها مثل ما ورد في المثالين لدى الأصمعي وابن العلاء فكل واحد قام إمَّا باستضعاف المورد أو بتخطئته لتأكد من صحة النص.

– يقول السيوطي :« في الترجيح بين مذهب البصريين والكوفيين اتفقوا على أنَّ البصريين أصح قياسًا لأنَّهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ والكوفيين أوسع رواية »[3].

نلحظ أنَّ مذهب البصريين يعتمدون على القياس أكثر ما يعتمدون على المسموع ولا يقيسون على الشاذ أبدًا بينما الكوفيين عكس ذلك أوسع رواية منهم فيقبلون كل مسموع ويقيسون عل الشاذ أيضًا.

---

[1]– القالي : الأمالي ، ج1 ، ص102.

[2]– ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص276.

[3]– السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن ،ت911ه): كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، دار المعارف ، ط1 ، دكن الحمية، حيدر آباد ، 1310ه، ص100.

أمَّا بالنسبة للنحاة الذين اهتموا بالسماع أيضًا هو سيبويه فقد تطرَّق إليه العلاَّمة وأكثر الكلامَ عنه حيث يقول : « إنَّ سيبويه لم ينفرد بهذا السلوك العلمي السليم وهو الاعتماد في سماعه وتدوينه لمعطيات اللغة العربية الفصيحة على أصحابها أنفسهم وهم فصحاء العرب ليس غير ».[1]

ذهب إلى أنَّ سيبويه قد تميز بأسلوب الدقة والثقة والأمانة في الأخذ ونقل المعلومات وأخذ اللغة عن غيره.

ومن ناحية الاستشهاد بالشعر المجهول القائل، فكان علماء البصرة « لا يعتدُّون بالشاهد إذا لم يعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته »[2].

عالج العلاَّمة موضوع استشهاد العلماء بأشعار مجهولة قائليها وذهب أنَّ هناك من الباحثين يرون أنَّ النحاة استشهدوا ببت مجهول القائل حيث يقول: « فقول من قال " إنَّ النحاة قد يستشهدون على كلام العرب ببيت مجهول القائل" غير وارد أبدًا ههنا لأن السماع اللغوي في الظروف اللغة العربية غير الرواية للحديث النبوي إذ المهم هنا الناقلون هم المسموع عنهم من فصحاء العرب المعروفين بذلك عند جميع العلماء لأنهم هم وحدهم توارثوه وهم فصحاء ولم يكونوا بالضرورة في القرنين الأول والثاني من أهل البادية »[3] ويرى أنَّ هناك من جعل سيبويه قد استشهد بأشعار مجهولة النسب فقد صرَّح في حديثه قال:« نحن نطمئنُّ إلى ما روى سيبويه لأنَّه رواه بالسماع عن فصحاء العرب وحدهم»[4].

---

[1]– السماع اللُّغوي ،256 .

[2]– سعيد الأفغاني: في أصول النحو ، ص198.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص259.

[4]– السماع اللُّغوي ، ص260.

لقد ذهب أنَّ علماء اللغة في أول وهلة لم يتأكدوا من اسم الشاعر لأنَّ ما نقلوه هم فصحاء العرب لهم دراية بالشعر وهم من توارثوه ، وبالتالي يكون حجة على ذلك أمَّا بالنسبة لسيبويه فهو قد سمع من فصحاء ممن يوثق بهم .

– ويقول العلاَّمة أيضًا: « أمَّا التأكد من اسم الشاعر فيما يخص الشعر فإنَّ كان ذلك غير ضروري لإثبات السماع الفصيح فإنَّه جدٌّ ضروري في التمييز بين الصحيح والمصنوع وبين المنحول وغير المنحول »[1].

يرى أنَّ ضرورة التأكد من اسم الشاعر تكمن في التمييز بين الصحيح والمصنوع وبين المنحول وغير المنحول.

ثانيا: القبول المفتوح (الكوفة):

لقد قام علماء الكوفة ما قام به علماء البصرة من جمع المادة وروايتها، إلاَّ أنَّ هناك اختلاف بينهم.

– يقول العلاَّمة: « السماع عند البصريين يماثل السماع عند الكوفيين من حيث الاهتمام العظيم الذي أبداه كل واحد من البصريين والكوفيين إزاء المسموع ولم ينقص سماع إحدى الفئتين عن سماع الأخرى كيفًا وكمًا إلاَّ بعد زمان سيبويه وعند أفراد قلائل »[2].

فهو يرى أنَّ السماع عند البصريين والكوفيين كان سماعًا واحدًا من حيث الكم والكيف ولكن الاختلاف بينهم كان بعد زمان سيبويه عند أفراد قلائل.

و يقول أيضًا: « والفرق الوحيد الذي نلاحظه يكمن في التساهل في قبول المسموع وتوثيقه عند بعض الكوفيين وهم قلة في ذلك ».[3]

[1]– السماع اللُّغوي ، ص292.

[2]– السماع اللغوي ، ص375.

[3]– السماع اللُّغوي ، ص375.

لقد لاحظ الفرق بين الكوفيين والبصريين هو أنَّ علماء الكوفة قد تساهلوا في قبول اللغة وتوثيقها وتأكيدها وهذا قد وُجد عند فئة قليلة وليس جميع الكوفيين.

ومن هنا نلاحظ أنَّ علماء الكوفة في أخذهم للغة قد« وسعوا في دائرة النقل عن العرب إلى الأخذ من الأعراب الذين لم يسلموا من مخالطة الأعاجم ومن التأثير بتهاون الحضرية، كما تساهلوا في التأكيد على وثاقة الرواية ضبطًا وصدقًا »[1].

كما أنَّ الكوفيين قد« أخذوا كل ما سمعوا عن العرب وجعلوه أصلا يقاس عليه، فقد قاسوا على النَّادر والشّاَذ ولم يتحرُّوا صحة ما يصل إليهم من مواد »[2].

كان منهج الكوفي متساهل جدًّا في قبول اللغة من العرب، حيث بالغوا في الأخذ حتى من الذين لم يسلموا من مخالطة العجم ، وقد اشتهروا بعدم تأكيد وثاقة الرواية وهذا كان عند عدد قليل من علماء الكوفة كما قال العلاَّمة وليس جميعهم، كما أنَّهم قاسوا على الشّاَذ وجعلوه أصلاً يقاسوا عليه عكس ما عند البصريين إذ يرفضون ذلك ولم يتفقوا عليه. وهذه رواية عن الكسائي حيث « قال أبو زيد الأنصاري قدم الكسائي البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعن يونس بن حبيب وعيسى بن عمر علمًا كثيرًا صحيحًا ، ثم خرج إلى بغداد وقدم أعراب الحطمة، وأخذ عنهم شيئًا فاسدًا فخلط هذا بذا فأفسده »[3].

أمَّا من ناحية الاستشهاد بالشعر فكان « الكوفيون هم الذين يجعلون الشَّاهد الواحد الذي لم يجر على نمط عامة المروى من كلام العرب ولو كان شطر بيت يجعلونه أصلاً يرجع إليه ، أمَّا البصريون فلم يقبلوا هذا »[4].

---

[1]– عبد الهادي الفضلي: مراكز الدراسات النحوية، مكتبة المنار، ط1، الزرقاء ، الأردن ،1406ه/1986م ،ص46.

[2]– إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص19.

[3]– القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج2 ، ص274.

[4]– عفاف حسانين: في أدلة النحو، المكتبة الأكاديمية ، ط1 ، الدقى ، القاهرة ، 1996 ، ص24.

ومما يشير إليه أيضًا « قال ابن درستويه : كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلاَّ في الضرورة فجعله أصلاً ويقيس عليه »[1].

نلحظ أنَّ الكسائي لم يكن متشدد بالأخذ عن الأعراب ،ولم يتحرَّ ذلك فيهم مما أدَّى به إفساد علمه بسبب أخذه من أعراب الحطمة. كما أنَّه جعل الشَّاذ أصلاً ويقيس عليه.

وهذا ما تمكَّن أن نقوله عندما تناظر سيبويه والكسائي في المناظرة الزَّنبورية المشهورة عندما كان الحكم بينهما أعراب الحطمة الذين سكنوا بغداد واعتدَّ الكسائي بقولهم، مع أنَّ المنهج البصري يرفض رفضًا مطلقًا قبول لغتهم ، وكان ذلك سبب وفاة سيبويه فمات كمدًا وهذه القصة تروي « جاء الكسائي وغصَّت الدار بالحضور على مشهد من يحي وابنه جعفر، ثم بدأ الكسائي الحديث وقال لسيبويه: تسألني أو أسألك؟ فقال سيبويه: سل أنت، فقال له: هل يقال كنتُ أظنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لسعة من الزَّنبور فإذا هو هي أو يقال مع ذلك فإذا هو إيَّاها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب فسأله عن أمثال ذلك نحو: خرجت فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ فقال كلُّه بالرفع، فقال الكسائي: العرب ترفع ذلك وتنصبه، واحتذم الخلاف بينهما طويلا، فقال يحي: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هؤلاء العرب ببابك وفدوا عليك من كل صقع، وقد قنع بهم أهل المصريين يحضرون ويسألون ،فقال يحي: قد أنصفت، واستدعاهم فتابعوا الكسائي، فأقبل الكسائي على سيبويه وقال له: قد تسمع أيُّها الرجل ، فاستكان سيبويه عند ذلك وانقبض خاطره، فقال الكسائي ليحي: أصلح الله الوزير، إنَّه قدم إلينا راغبًا فإن أردت ألا تردَّه خائبًا، فرق له يحي وجبر كسره، فخرج من بغداد وتوجَّه تلقاء فارس يتوارى من الناس من سوء ما لحقه ، ولم يقدر أن يعود إلى البصرة، وقد كان إمامها غير منازع فمات غمًا بفارس في ريعان شبابه »[2].

[1]– السيوطي: بغيةالوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج2 ، ص164.

[2]– محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص53/52.

لقد تعرَّض العلاَّمة في كلامه عن الأخباريين حيث يقول:« ومنهم من يتساهل في قبوله ما يسمعه إلى حدّ بعيد ومنهم من اتُّهم قديمًا بالوضع والنحل، فهؤلاء يجتمعون في عدم النظر في صحة ما يروُون من الشعر ولا همَّ لهم بذلك إذ لا يعتبرون ذلك من مهامهم »[1].

ذهب إلى أنَّ هناك من تساهل من الأخباريين في أخذ ما سمعوه من شعر ،فهم لا يجمعون على صحته إنَّما كانوا ينزهون به ولا يعتبرون ذلك من مهامهم ، ومنهم من اتُّهم بالوضع والنحل ، وقد صرَّح العلاَّمة في حديثه هذا عمَّا يماثلهم كحمَّاد الراوية حيث قال: « أمَّا الاحتجاج بهذا ما رواه الأخباريون فيما يخصُّ الشعر أو محاولة تنزيه مثل حمَّاد الراوية مما اتَّهمه العلماء القدامى فهو حاصل في زماننا وسبب ذلك هو التسوية المطلقة التي يقيمها بعضهم بين ما كان يقوم به العالم اللغوي وما يتمسك به من المبادئ العلمية الدقيقة وبين الرواية المجرَّد..ونستعظم أن يُقرن أبو عمرو بن العلاء المؤسّس للتحرّيات اللغوية الميدانية عند العرب بمثل حمَّاد الراوية الذي لا نعرف في الحقيقة وفي غالب الأحوال من أين كان يستقي علمه»[2].

لقد بيَّن لنا العلاَّمة الفرق بين الرُّوَّاة اللغويين الذين لا يقبلون اللغة إلاَّ بعد التأكيد منها والأخباريين الذين تساهلوا في قبول الرواية دون تحقيق ، فيتعجَّب من الذين سوُّوا بين أبو عمرو بن العلاء الذي أسَّس التحريات اللغوية الميدانية وكل رواياته موثوقة بها وحمَّاد الراوية الذي كان يتنزَّه بالشعر ولم تُعرف أقاويله من أين أخذها .

نستخلص جملة ما سبق من اللغة الوافدة من الأعراب، فقد رأى العلاَّمة أنَّ كل من الكوفيين والبصريين كان سماعهم سماعًا واسعًا من حيث الكم والكيف، إلاَّ أنَّ الفرق الذي حصل بينهما في مسألة قبول المسموع وتوثيقه فهذا كان عند بعض من الكوفيين فأمَّا المنهج البصري كونه قد تمسَّك بالدّقة والتحري في الأخذ ؛ حيث تحرَّوا

[1]– السماع اللُّغوي ، ص301.

[2]– السماع اللغوي ، ص301.

صحة ما يصل إليهم من اللغة ، وأمَّا المنهج الكوفي فقد توسَّع في السماع، حيث سمعوا حتى من القبائل المجاورة للعجم وجعلوا الشاذ أصلاً وقاسوا عليه .

الخاتمة

عالجنا في هذه الرسالة موضوعًا بعنوان " **منهجية التحري في رواية اللغة دراسة في كتاب السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة لعبد الرحمن حاج صالح**" وبعد نهاية البحث استنتجنا جملة من النتائج وهي كالآتي:

– من خلال دراستنا لهذا الموضوع نستطيع القول إنَّ عبد الرحمن حاج صالح استطاع التعبير عن العديد من الآراء والأفكار وصَوَّبَ كثير من الأخطاء ونفى كل الاتهامات المستقاة من الأفكار التي سادت في أذهان المحدثين وأبناء هذا العصر بأدلَّة من العقل والتاريخ.

– وُجدت الرواية عند العرب قبل الإسلام بمعنى نقل خبر من شخص إلى آخر بينما نجدها بعد ظهور الإسلام وعند علماء اللغة القدامى خاصة هي أخذ اللغة العربية الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم من أفواه العرب الفصحاء من قبائل شبه الجزيرة العربية، والتي تعتبر رافدًا من روافد اللغوية يستقي منها الرواة جواهر الألفاظ العربية.

– إنَّ الدوافع التي أدَّت بعلماء اللغة إلى جمع المادة اللغوية تكمن في الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم من التأثرات الخارجية ، وصيانتها من اللّحن والشّوائب وخدمة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فهمًا وقراءةً وتفسير غوامض الشعر ومعرفة غرائبه، وكان حديث العلاَّمة حاج صالح عن خدمة القرآن، فذهب إلى أنَّ أوَّل من بادر في خدمة القرآن لشرح ألفاظه الغامضة والغريبة باللجوء إلى كلام العرب شعرا ونثرا هو عبد الله بن عباس ثم أكملوا من بعده بقية العلماء.

– لقد شاع في الدراسات اللغوية والتاريخية اعتماد نص الفارابي الذي يبين حدود الفصاحة إلاَّ أنَّ العلاَّمة حاج صالح وقف على هذه النقطة ونوَّه بكلامه وصحح كل خطأ كان في اعتقاد بعض الباحثين المحدثين، بحيث رأى أنَّ سماع اللغويون كان سماعًا واسعًا جدًا شمل جميع قبائل شبه جزيرة العرب خلافا لما قاله الفارابي وغيره.

– وقد توصل إلى أنَّ الفصاحة لم تكن الفصاحة مقصورة في القرنين الأول والثاني على البدو بل أكثرهم في الحواضر كالبصرة والكوفة واستشهد بكلامهم كالأخطل الذي ولد في الحيرة . ولم تكن الفصاحة مقصورة على العرب الأقحاح: وقد وصف أنَّ كل من يدعي أنَّ معيار الفصاحة عنصريا وأنَّ الأعجمي لا يمكنه أن يوصل ما بلغه العربي القح بالوهم الخطير جدًا ولم يوافق هذا الرأي، ورأى أنَّ معيار الفصاحة ليس عنصريًا لأنَّ هناك شعراء كانوا من أصل غير عربي واستشهد بشعرهم لأنهم اكتسبوا الفصاحة (السليقية) في صباهم من بيئة عربية فصيحة مثل المنتجع بن نبهان وهو سندى الأصل سبي صغيرًا وكبر في وسط فصيح من بني تميم .

– لقد مرَّت مرحلة جمع اللغة وتدوينها بثلاث مراحل، فكانت المرحلة الأولى الجمع المتناثر للألفاظ دون ترتيب، فدونوا كتبا في الغريب والنوادر. والثانية اهتم فيها العلماء بتدوين مفردات لغوية حسب مواضيع خاصة وصنّفت كتبا في شتى المجالات في النبات والحيوان وخلق الإنسان وغيرها، أمَّا المرحلة الثالثة اختصت في تأليف المعاجم اللغوية فكان أول معجم لغوي ألفه الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو "معجم العين".

9– إنَّ اهتمام علماء البصرة والكوفة بالسماع كان اهتمامًا كبيرًا برأي العلاَّمة حاج صالح وذهب إلى أنَّ السماع لدى البصريين والكوفيين كان سماعًا واسعًا جدًا من حيث الكم والكيف إلاَّ أنَّ الفرق بينهما يكمن في التساهل في قبول المسموع بحيث إنَّ المنهج الكوفي لم يتحر صحة ما يصل إليهم من الكلام، عكس ما قام به المنهج البصري الذي تمسك بالدقة والتحري في الأخذ ولم يأخذ كل ما سمع من الأعراب.

10– ومن خلال هذه الدراسة نقول إنَّ الدكتور **عبد الرحمن حاج صالح** يعدُّ عالمًا وسيبقى عالمًا جليلاً متميّزًا، اكتشفنا من خلاله ثغرات ، وأكمل ما درسه

الباحثون من نقص وسد الفجوات، وإنَّنا على يقين أنَّه سينشغل به كثير من الباحثين في الأجيال الآتية ويضل الطريق متاحًا لمزيد لدراسة مواضيعه .

وهذا لبُّ كل ما استطعنا تحقيقه من هذه الدراسة ولا ندعى الكمال فالكمال لله وحده وحسبنا أنَّنا اجتهدنا.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ملحق

نبذة عن حياة العلاَّمة حاج صالح :

ولد الدكتور عبد الرحمن حاج صالح « بمدينة وهران سنة 1927م ، درس في مصر، وفي بوردو وباريس، تحصَّل على التبريز من باريس وعلى دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس – السوربون– كان أستاذًا بجامعة الرباط سنة 1961م إلى سنة 1962م ، وبجامعة الجزائر بعد ذلك ».[1]

يُعدُّ الأستاذ حاج صالح من أبرز الأعلام الكبار الجزائريين فهو « عالم فذٌ متميز في فكره، صارم في علمه، نبغ في علوم اللسان، فجمع بين الأصالة والمعاصرة، واغترف من علوم اللسان قديما وحديثا، وتمكَّن باقتدار من بعث التراث اللغوي في ثوب أصيل وصاغه ممزوجا بما جدَّ في البحث الأكاديمي ونشره في مجلات ودوريات وحاضر به في عدة جامعات، فكان واسع الصيت في الداخل والخارج، له فضل كبير في تصحيح كثير من المفاهيم وتأصيلها وتدقيق المصطلحات العلمية بعلم اللسانيات » .[2]

شغل العلاَّمة مناصب عديدة علمية وإدارية منها:[3]

- مدير معهد العلوم بالجزائر.
- مدير مركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية.
- عيّن رئيسًا لمجمع اللغة العربية منذ سنة 2000م.
- عضو المجامع اللغوية العربية الآتية: دمشق وبغداد وعمان والقاهرة.

---

[1]– السماع اللغوي ، (ورقة الغلاف).

[2]– خان محمد: الأستاذ الدكتورالحاج عبد الرحمن صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر– بسكرة –، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة الجزائر،2009م، ع 5، ص31.

[3]- ينظر: فصيح مقران، المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي ، دار الوسام العربي ، ط1 ، عنابة الجزائر، 1432ه/2011م، ص 466–467.

– رئيسًا للهيئة العليا لمشروع الذخيرة العربية منذ الندوة التأسيسية بالجزائر في ديسمبر 2011م.

– تحصَّل على جائزة الملك فيصل الدولية على جهوده في الدراسات اللسانية العربية.

لقد نال شهرته العلمية في إنجاز العديد من المشاريع منها « إعداد الذخيرة اللغوية وتحديد الرؤية إلى المدرسة الحديثة » .[1]

يعتبر الدكتور مثال الأمانة العلمية في النقل عن غيره، فهو ينسب كلَّ الأقوال إلى أصحابها، وهذا وارد في جميع كتبه، كما يظهر تميُّزه في تواضعه العلمي من خلال كتابه «السماع» مثال قوله: " هذا وأردنا أن لا تكون دراستنا.." .

لقد صنَّف الدكتور حاج صالح بحوثًا ورسائلَ وكتبًا كثيرة تروي ظمأ العطاشى الراغبين في الاطلاع على حال العربية في مختلف المجالات .

« فله العديد من البحوث العلمية قدم معظمها في مؤتمرات علمية دولية تمتد من سنة 1964م إلى أيامنا هذه، جمعت وطبعت في ثلاثة مجلَّدات اثنان منها بعنوان: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية بجزأين، والثالث بعنوان: بحوث قي علوم اللسان إضافة إلى كتاب آخر بعنوان " السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة " وكلها صادرة عن منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، الجزائر، 2007م »[2].

كتاب السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة:

يعدُّ كتاب السماع اللغوي للعلامة عبد الرحمن حاج صالح مكتبة ثمينة مقدارها من ذهب يحكي لنا عن أهم ما في التراث اللغوي العربي القديم وقد تناول العلامة في

[1]– خان محمد: الأستاذ الدكتور الحاج عبد الرحمن صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي ، ص31.

[2]– الشريف بوشحدان: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر –بسكرة– ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة ، الجزائر ، 2010 م ، ع7، ص44.

هذا الكتاب قضية السماع اللغوي عند العلماء القدامى وهو طريقة اعتمدها علماؤنا العرب القدامى لإلمام باللغة العربية الفصيحة من فصحاء العرب .

قسم العلاَّمة عبد الرحمن كتابه إلى أربعة أبواب:

فالباب الأول عنونه بالعربية ومعيارها اللغوي محاولة تحديده بمقاييس موضوعية تناول فيه مفهوم الفصاحة العربية (السليقية) ومقاييسُها المكانيَّة الزمانيَّة والصُوريَّة . وخصص الباب الثاني في اللغة العربية وأسطورة اللغة المشتركة الأدبية بإزاء اللهجات العربية ، وجعل الباب الثالث بعنوان السماع اللغوي من حيث المحتوى والمقاييس والشواهد ، وأمَّا الباب الرابع تناول فيه التحريات اللغوية الميدانية ومناهجها، تكلَّم عن أهم أصحاب التحريات والمناطق الطبيعية التي أجروا فيها تحرياتهم اللغوية الميدانية .

هذه أهم الأبواب التي تضمنت في كتاب السماع اللغوي ، لكنَّنا لم نتناول كل ما ورد في الكتاب من مواضيع ، وإنَّما تطرَّقنا إلى ما يتعلق بالرواية اللغوية فقط .

قائمة

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

* القرآن الكريم: (رواية حفص عن عاصم).

المصادر والمراجع:

• **إبراهيم أنيس:**

1- من أسرار اللغة، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة الأنجلو مصرية،ط6، القاهرة،1978

• **إبراهيم عبود السامرائي:**

2- المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن 1987.

3- المدارس النحوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، الأردن 1427ه/2007م.

• **ابن الأثير(ضياء الدين بن الأثير):**

4- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (د ت).

• **أحمد أمين:**

5- ضحى الإسلام، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، (دت).

• **أحمد عبد الغفور:**

6- مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1900.

• **الأنصاري(أبو زيد بن أوس بن ثابت توفي 215ه):**

7- كتاب النوادر في اللغة تح محمد عبد القادر احمد دار الشروق ط1 القاهرة 1401ه/1981م.

• **التواتي بن التواتي:**

8- محاضرات في أصول النحو،دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة، الجزائر،2008

• **ابن تيمية :**

9- علم الحديث، تحقيق: موسى محمد علي، دار الفكر، ط3، دمشق، سوريا،1993.

• **الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، توفي255ه):**

10- البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ط7 ،القاهرة، مصر، 1418ه/1998م.

• **الجرجاني(عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، توفي471ه):**

11- دلائل الإعجاز، تعليق: أبو فهد محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1375ه.

• **ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني، توفي392ه):**

12- الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د ب)، (د ت)، 3أجزاء

• **الجوهري (إسماعيل بن حماد ، توفي 396ه):**

13- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين ط4 ، بيروت، لبنان، 1990.

• **حسين نصَّار:**

14- المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط4، القاهرة، 1408ه/1988

• **حمودي زين الدين مشهداني:**

15- الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1426/2005م.

• **الخليل بن أحمد الفراهيدي(توفي 170ه):**

16- كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، لبنان 1424ه/2003.

• **سعيد الأفغاني:**

17- في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، 1414ه/1994.

• **سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، توفي، 180ه):**

18-الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1408ه/1988.

• **ابن سيدا (أبو الحسن على إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، توفي 458ه):**

19- المخصص، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (د ت).

• **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، توفي 911ه):**

20- كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، دار المعارف،ط1، حيدر آباد، 1310ه.

21- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر،ط2، (د ب)، 1399ه/1979م.

22- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (د ب)،(د ت).

• **السيرافي(القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله، توفي 368ه):**

23- أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيتي، ومحمد عبد المنعم خفاجي ملتزم الطبع والنشر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، القاهرة ، مصر 1374ه/1955م.

• **شوقي ضيف:**

24- المدارس النحوية، دار المعارف، ط7، القاهرة، (د ت).

• **صالح بلعيد:**

25- في أصول النحو: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر،2010

• **ضياء الدين المقدسي (643/569):**

26- المُنتقي من أخبار الأصمعي، تح: عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي7،ط1، دمشق، 1354ه.

• **عبد الإله نبهان :**

27- ابن يعيش النحوي (553-643ه) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1 ط1، دمشق، 1997م.

• **عبد الحميد الشلقاني:**

28- الأعراب الرواة، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط2، طرابلس

الجماهيرية العربية الليبية، 1982م.

• **عبد الرحمن حاج صالح:**

29- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، موفم للنشر المؤسسة الوطنية

للفنون المطبعية ، الرغاية، الجزائر، 2007.

• **عبد اللطيف الصوفي:**

30- مصادر اللغة في المكتبة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة

الجزائر، (د ت).

• **عبد الهادي الفضلي:**

31- مراكز الدراسات النحوية، مكتبة المنار، ط1، الزرقاء، الأردن، 1406ه/1986م.

• **عز الدين إسماعيل:**

32- المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1 عمان، الأردن،1424ه/2003م.

• **عفاف حسانين:**

33- في أدلة النحو، المكتبة الأكاديمية، ط1، الدقى، القاهرة، 1996.

• **الفارابي (أبو نصر الفارابي):**

34- كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، ط2، بيروت، لبنان،1990.

• **ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، توفي 395ه):**

35- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويمي، ملتزم الطبع والنشر، بدران للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، 1382ه/1963م.

36- معجم مقاييس اللغة، تح: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1422ه/2001م.

• **فصيح مقران:**

37- المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي، دار الوسام العربي، ط1،عنابة الجزائر، 1432ه/2011م.

• **الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، توفي817ه):**

38- القاموس المحيط، تح: محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة 1429ه/2008م.

• **القالي: (أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون، توفي 356ه):**

39- كتاب الأمالي، تح: صلاح الدين بن فتحي هلل وسيّد بن عباس الجليمي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1424ه/2003.

• **القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، توفي624ه):**

40- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ط1 القاهرة، مصر، 1406ه/1986م.

• **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، توفي285ه):**

41- الفاضل، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية،ط2، القاهرة،1995.

• **محمد حسين آل ياسين:**

42- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة ط1 بيروت لبنان، 1400ه/1980م.

• **محمد خان:**

43- أصول النحو العربي: منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر،2012.

• **محمد سالم صالح:**

44- أصول النحو دراسة في فكر الأنباري، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، القاهرة مصر، 1427ه/2006م.

• **محمد صادق الرافعي :**

45- تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1421ه/2000م.

• **محمد الطنطاوي:**

46- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1995م

• **محمد عيد:**

47- الرواية والاستشهاد باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث دار الشرق الأوسط للطباعة العطار وشركاه، ط3 ، القاهرة، 1988.

• **مشتاق عباس معن:**

48- المعجم المفصل في فقه اللغة ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ط1 بيروت، لبنان،1422ه/2001.

• **ابن النديم:(محمد بن اسحاق بن أبي يعقوب، توفي377ه):**

49- الفهرست، تح: رضا تجدد ابن علي زيد العابدين، حقوق الطبع محفوظة للمحقق طهران، 1391ه/1971م.

المجلات:

- **الشريف بوشحدان:**

1- الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر –بسكرة– دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010م، ع7.

- **كعواش عزيز:**

2- نظرية النحو القرآني بين الدلالة اللغوية والدلالة الدينية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، (د ت)، ع5.

- **محمد خان:**

3- الأستاذ الدكتور الحاج عبد الرحمن صالح وجهوده في بعث التراث العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009، ع5.

فهرس الموضوعات

* شكر وعرفان

* مقدمة ..... أ – ب

الفصل الأول: رواية اللغة ورُوَّاتُها

المبحث الأول: مفهوم الرواية 4– 8

1– الرواية لغة :..... 4

2– الرواية اصطلاحا: 6

– الرواية في الجاهلية..... 6

– الرواية بعد الإسلام 7

المبحث الثاني: تاريخ رواية اللغة 9–18

أولاً: دوافع الرواية 9

ثانيًا: مراحل الرواية 19

المبحث الثالث: أهم الرواة واللغويين..... 24 –36

أولاً: رُوَّاة البصرة:..... 24

1– أبوعمرو بن العلاء (145ه) 24

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي (170ه)..... 28

3- الأصمعي (216ه) 30

ثانيًا: رُواة الكوفة 31

1- الكسائي197ه)..... 31

2- الفراء (207ه) 33

3- أبو عمرو الشيباني (206)..... 35

الفصل الثاني: ضوابط جمع اللغة.

المبحث الأول : المعايير المتبعة لجمع اللغة..... 38-61

أولاً: الفصاحة ومقاييسها الزمانية والمكانية والصُّورية..... 38

1- مقياس الفصاحة..... 38

2- المقاييس المكانية الزمانية للفصاحة (السليقية)..... 44

3- المقاييس الصورية للفصاحة(السليقية)..... 53

ثانيًا: أوصاف المتحري 56

ثالثًا: شروط المُورد وأقسامه 58

المبحث الثاني: منهجية التحري..... 62-84

أولاً: السماع المُوسَّع 62

1- السماع بدون تدخل المتحري (الاستلغاء)..... 64

2- السماع النشيط 64

ثانيًا: طرق السماع والاختيار 71

ثالثًا: تقنيات الكتابة 82

المبحث الثالث: اللغة الوافدة 86-92

أولاً: اختيار الأعراب (البصرة) 86

ثانيًا: القبول المفتوح (الكوفة)..... 90

* الخاتمة ..... 96 -98

* ملحق ..... 100 - 102

* قائمة المصادر والمراجع 104-110

* فهرس الموضوعات

ملخص:

تضمن عنوان البحث "منهجية التحري في رواية اللغة دراسة في كتاب السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" لعبد الرحمن الحاج صالح إذ تناولنا فيه قضية المنهجية التي أقامها القدامى من اللغويين لجمع اللغة العربية الفصيحة من العرب.

لقد تجلت رؤية الدكتور الحاج صالح في ذلك من خلال تصحيح بعض المفاهيم والمعطيات، وكشف الأغوار التي غفل عنها المحدثون، ومن بينها تصحيح مفهوم الفصاحة.

ABSTRACT:

This research titled with the systematic "detecting in the language of novels ", study in the scientific listening languages book in the arabs and the meaning of fluency to Abd el Rahmane El-Hadj Saleh, we took the issue of systematic thas was taken by the oldest linguists to combine the Arabic language between the Arabs.

The vision of the Dr. El-hadj Saleh was clear amous his correction to some concepts and data and discovering some others details that the previous ours Forgotten, one of them is the correct the meaning of the eloquence.

ملخص مجمل للمذكرة :

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم رسُله، وبعد: لقد كانت العربيةُ لغة العرب فصيحةً نقيةً، يتكلمُ بها العربيُّ السليقيُّ دون تلقين، و قد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة، فانتشرَ الإسلامُ في مختلف الأمصار ودخل الناسُ في دين الله أفواجًا، ومن هنا بدأ اللحنُ يلجُ اللغة الفصحى نظرًا لدخول الأعاجم واختلاطهم بالعرب الخُلَّص فهيَّأ الله لهذه اللغة علماءَ مخلصين بذلوا أنفسَهم في خدمتها وللحفاظ عليها من الضياع و خدمة القرآن فهمًا وقراءةً ، فقد طافوا الصحاري والبوادي يتَّبعون الأعراب أينما حلُّوا لجمع اللغة من أفواههم بدقة وأمانة .

إنَّ حرصَ العلماء القدامى على اللغة الفصحى ودقة نقلها من العربيّ السليقيّ كما ينطق بها كانت بوضع ضوابط ومقاييس تتمثل في الفصاحة وحدودها المكانية والزمانية فأما المكانية و ممن يصحُ الأخذ منهم النقل عنهم فالرواة لا يروون اللغة ممن جاور العجم ولا يأخذونها ممن اختلط بهم وأما الزمانية فحدَّدوا مدة زمنية معينة ممن يجوز الأخذ اللغة منهم وهو منتصف القرن الثاني في الحواضر والقرن الرابع الهجري في البوادي.

ومن هذا المنطلق استطاع العلماءُ حفظ اللغة العربية ، وبعد ذلك أتى علماء أفاضل متأخرون مهمتهم الشرح والتحليل والتمحيص والنقل عمن سبقهم من العلماء والنظر فيما أقامه القدامى لجمع اللغة والوقوف على ما درسوه المحدثون وما كان بينهم من توافق واختلاف في آرائهم وشروحاتهم .

لقد كانت دراستنا حول رؤية العلامة عبد الرحمن حاج صالح تجلية لدوره في هذا الميدان والذي سعى إلى الحديث عن علمائنا القدامى إضافة إلى ذلك إعطاء بعض الآراء والتوجيهات الصائبة وتصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها الدارسون . وقد وُسمتُ هذا البحث ب" منهجية التحري في رواية اللغة دراسة في كتاب السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة " لعبد الرحمن حاج صالح .

يجدر بنا أن نطرح جملة من التساؤلات حول هذا الموضوع لتوضيح هذه الفكرة فما هي رؤية العلاَّمة الحاج صالح لمنهجية التحري التي أقامها القدامى لجمع اللغة؟ وما هو موقفه من آراء المحدثين العاملين في حقل العربية ؟ وهل هناك تناقضً بين مايدرَّسُ نظريًا لمفهوم الفصاحة وما هو المعمول به عند الجمع ؟.

صُدّر هذا البحث بمقدمة ثم الفصل الأول المعنون ب(رواية اللغة ورُوَّاتُها) وفيه ثلاثة مطالب؛ تعريف الرواية ، تاريخ رواية اللغة، أهم الرواة واللغويين. أمَّا الفصل الثاني فموسوم ب(ضوابط جمع اللغة تضمَّن ثلاثة مباحث؛ المعايير المتبعة لجمع اللغة منهجية التحري، اللغة الوافدة، وذُيّل البحث بخاتمة استدرجنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها ثم ملحق.

لقد تضمَّنت الخاتمة خلاصة ما درسنا في هذا الموضوع استنتجنا ما يلى:

– من خلال دراستنا لهذا الموضوع نستطيع القول إنَّ العلاَّمة حاج صالح استطاع أن يعبر عن العديد من الآراء والأفكار وصوَّب الأخطاء المستقاة من الأفكار التي سادت في أذهان المحدثين وأبناء هذا العصر بأدلَّة من العقل والتاريخ.

– لقد وُجدت الرواية عند العرب قبل الإسلام بمعنى نقل خبر من شخص إلى آخر، بينما نجدها بعد ظهور الإسلام وعند علماء اللغة القدامى خاصة هي أخذ اللغة العربية الفصيحة من أفواه العرب الفصحاء من شبه جزيرة العرب .

– تكمن الدوافع التي أدَّت بعلماء اللغة إلى جمع المادة الفصيحة في الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم من التأثرات الخارجية ، خدمة القرآن الكريم والحديث الشريف فهمًا وقراءةً والحاجة إلى فهم غوامض الشعر ومعرفة غرائبه ، وكان حديث العلاَّمة عن القرآن فذهب إلى أن أول من بادر في خدمته هو عبد الله بن عباس ثم أكملوا من بعده بقية العلماء.

– لقد شاع في الدراسات اللغوية والتاريخية اعتماد نص الفارابي الذي يبين حدود الفصاحة زمانيا ومكانيا لكن العلامة بين الغلط الذي وقع فيه الدارسون ، فكان حديثه عن التحريات التي أقامها اللغويون حديثا واسعا جدا ، حيث توصل إلى أن هناك من المحدثين اعتقدوا أن القدامى قسموا المناطق إلى حضر وبدو فأخذوا من البدو وتركوا الحضر والقبائل التي تحد العجم فقد نوه بكلامه وصحح الخطأ الذي ساد في فكرهم فكان موقفه من هذا غير مساند لرأى المحدثين حيث يرى أن سماع اللغويون كان سماعا واسعا جدا شمل جميع قبائل شبه الجزيرة العربية خلافا لما قاله الفارابي وغيره وان هناك من المحدثين لم يفهموا كيف تذكر القبائل التي ذكرها الفارابي بأنها ليست معنية بالأخذ منها ودليله على ذلك أن العلماء استشهدوا بشواهد تنسب إلى شاعر واحد على الأقل ينتمي غلى تلك القبائل.

* كما يرى أن الفصاحة لم تكن مقصورة في القرنين الأول والثاني على البدو بل أكثرهم من الحواضر كالبصرة والكوفة واستشهد بكلامهم كالأخطل الذي ولد في الحيرة.

وأنها لم تكن مقصورة على العرب الأقحاح بصفة أن هناك من ادعى أنَّ معيار الفصاحة عنصريا وأن الأعجمي لا يمكنه أن يبلغ ما بلغه العربي القح فوصف هذا الاعتقاد بالوهم الخطير جدا فنفى هذا الرأي ورأى أنَّ معيار الفصاحة ليس عنصريا؛ لأن هناك شعراء كانوا من أصل غير عربي واستشهد بشعرهم لأنهم اكتسبوا الفصاحة السليقية في صباهم من بيئة عربية مثل المنتجع بن نبهان.

– مرت مرحلة جمع اللغة وتدوينها بثلاث مراحل فكانت الأولى جمع متناثر للألفاظ دون ترتيب فدونوا كتبا في الغريب والنوادر والثانية اختصت بتأليف كتبا في النبات والحيوان وخلق الإنسان أما المرحلة الأخيرة اهتم فيها العلماء بتصنيف معاجم لغوية فكان أول من صنف في ذلك هو الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو معجم العين .

توصل العلامة إلى أن السماع الذي أقامه كل من البصريين والكوفيين كان سماعا واسعا من حيث الكم والكيف إلا أن الفرق بينهما يكمن في التساهل في قبول المسموع .

ومن خلال هذه الدراسة نقول إنَّ الدكتور عبد الرحمن حاج صالح يعد عالمًا وسيبقى عالمًا جليلاً متميزًا اكتشفنا من خلاله ثغرات، وأكمل ما درسه المحدثون من نقص وسد الفجوات وإننا على يقين أنَّه سينشغل به كثير من الباحثين في الأجيال الآتية ويضل الطريق متاحا لمزيد من السالكين لدراسة مواضيعه لأنه يحتمل أكثر من دراسة ويحتاج غير قلم .